الطريق

ⵜⴰⵔⵉⵇⵜ

جريدة أسبوعية شاملة

كورونا تهدد توحش الرأسمالية

17-16

المغرب وانهيار أسعار البترول

3

المدير المسؤول : عبد الواحد المهتاني - رئيس التحرير : يزيد البركة - السبت 25 أبريل 2020 م / 1 رمضان 1441 هـ - العدد : 328 - الثمن : 5.00 دراهم

كورونا تفضح السياسة الصحية بالمغرب

9-8-7-6-5-4

أين ؟

- مستشفى بن صميم بإفران
- سبيطار الرية بابن أحمد
- مستشفى دار بن قريش بتطوان

2 صفحات مشرقة من تاريخ النقيب بن عمرو

20 وضعية النساء في زمن كورونا

10 سيناريوهات العالم بعد كورونا

14-13-12-11 الملحق الثقافي: طقوس الثقافة في زمن الحجر

الافتتاحية :
كان من الممكن أن يكون المغرب في وضع أفضل

بالرغم من حساسية الظرفية ودقتها، والتي تواجه فيها شعوب العالم، تحديات وجودية غير مسبوقة، بسبب التداعيات الكارثية الصحية والاقتصادية والاجتماعية لوباء كوفيد 19. ووعيا منا أن اللحظة لحظة تعبئة وطنية وتضامن اجتماعي أكثر مما هي لحظة للنقد والمحاسبة، فإن حبنا لوطننا وغيرتنا على شعبنا، تفرض علينا تسجيل الملاحظات التالية :

ـ لا أحد يمكنه أن ينكر المجهودات التي تبذلها الدولة، للتحكم في الوضعية الوبائية، والحد من تأثيرها المدمر على الاقتصاد والمجتمع؛ لكنه يصعب إن لم يكن من المستحيل سد الخصاص الهائل في المنظومتين الصحية والتعليمية نظرا لما تعرضتا له من تخريب ممنهج، وخوصصة قسرية منذ تطبيق سياسية التقويم الهيكلي سيئة الذكر في بداية الثمانينات من القرن الماضي، بضغط وتوجيه من المؤسسات المالية الدولية في الموجة النيوليبرالية التي سيطرت فيها واشنطن على العالم، خاصة بعد انهيار المعسكر الاشتراكي وتغول الإمبريالية الأمريكية.

ـ لقد استمرت سياسة الإجهاز على المؤسسات العمومية والمرافق الاجتماعية طيلة العقود الماضية، مما أدى إلى تعميق الفوارق الطبقية الاختلالات الاجتماعية والمجالية والبيئية، مما دفع ملايين المغاربة لممارسة أنشطة غير قارة وهامشية للحصول على لقمة العيش، بعدما تخلت الدولة عن أدوارها ومهامها الأساسية، ودعمت لوبيات القطاع الخاص التي اغتنت وراكمت الثروات من الامتيازات المتنوعة واقتصاد الريع، وهي لوبيات كشفت الأزمة الحالية عن فقدانها للغيرة الوطنية والضمير الإنساني، بدليل هضمها لحقوق الدولة (التهرب من أداء الضرائب)، وحقوق الشغيلة (الأجور الهزيلة والاستحواذ على الحق في التغطية الاجتماعية).

ـ صحيح أن الدولة حاولت في العقدين الأخيرين تدارك الأمور ومحاربة الفقر المدقع، والاستثمار في البنيات التحتية وتأهيل بعض المدن، لكنها استمرت بعناد غريب في نهج نفس الاختيارات الفاسدة التي أدامت التخلف وأوصلت البلاد إلى ما سُمي بالسكتة القلبية في منتصف تسعينيات القرن الماضي. فالأموال العمومية الطائلة التي رصدت للسياحة، وقطاعات أخرى أقل أولوية، لو رصد جزء منها فقط لتطوير المنظومة الصحية وتأهيلها، بتحديث بنياتها الاستقبالية وتوظيف كل خريجي كليات الطب والصيدلة ومعاهد تكوين باقي الأطر الصحية على قلتهم، لما اضطروا للهجرة إلى البلدان الغربية التي تستفيد من خبراتهم وتكوينهم الآن، ولكان المغرب يتوفر حاليا على منظومة صحية نموذجية، مثل بلدان أقل مساحة وإمكانيات مادية وبشرية ككوبا وكوريا الجنوبية.

ـ الآن، وكما يقول المثل الشعبي "البكا ورا الميت خسارة"، ولكن على الدولة وباقي الفاعلين السياسيين، إعطاء الأسبقية للاستثمار في الإنسان والحياة، وإعادة النظر بشكل جذري في الاختيارات اللاشعبية واللاديموقراطية التي أوصلت بلادنا إلى حالة خطيرة، أصبحنا فيها بحاجة ماسة إلى شراء المستلزمات الأساسية لمواجهة الوباء الخطير من بلدان كانت في وضع اقل أو مماثل لبلادنا في بداية الستينات من القرن العشرين. أما ما يسمى بالنموذج التنموي، فإن أي نموذج غير قادر على ضمان الأمن الصحي والأمن الغذائي لجميع المواطنين والمواطنات فهو نموذج مرفوض وغير مجد.

ـ لقد أضاعت الدولة المغربية فرصا لا تعوض، وسنوات طويلة لاهثة وراء سراب ووعود قوى الرأسمال الامبريالي، وزجت بلادنا وشعبنا في خدمة مصالحه ومصالح وكلائه المحليين،

ولقد أصبح مؤكدا أن ما بعد الوباء لن يكون كما قبله، وأن العالم يمر بمنعطف تاريخي مؤلم لا أحد كان يتوقعه، رغم تحذيرات بعض الخبراء، فهل تتعظ الطبقة الحاكمة وتأخذ العبرة مما حصل؟ نتمنى ذلك، وإن كنا غير واهمين. ومع ذلك لا نملك إلا أن نؤكد مرة أخرى،على رفض المتاجرة في صحة الإنسان المغربي وتعليمه. وهذا يعني ببساطة أنه حان الوقت لتأميم المؤسسات الخاصة التعليمية والصحية، وتحويلها على الأقل تدريجيا إلى تعاونيات لأولياء التلاميذ والطلبة،والأطباء ومهنيي الصحة المشتغلين بها، في إطار تكامل مؤطر قانونيا مع القطاع العام.

الطريق

صمود في مواجهة الفساد والاستبداد..

قراءة في المسار الكفاحي للأستاذ عبد الرحمان بن عمرو

◆ د. علي بوطوالة — الحلقة الأولى

رغم وصوله الخامسة والثمانين من عمره، لا يزال عبد الرحمان بن عمرو يتقدم الوقفات الاحتجاجية والمسيرات الشعبية المنظمة من طرف الأحزاب التقدمية والمركزيات النقابية والجمعيات الحقوقية بهذه المناسبة أو تلك. لا يفوت أية فرصة للتنديد بالقمع وخروقات حقوق الإنسان والمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين، حتى أصبح يلقب بعميد الحقوقيين المغاربة. كان مدافعا بارزا في أغلب المحاكمات السياسية والعسكرية التي عرفها المغرب على مدى نصف قرن من الزمن، منذ بداية ستينيات القرن الماضي إلى نهاية العقد الثاني من القرن الحالي. في هذه الورقة سنحاول قدر الإمكان تتبع المسار الكفاحي لهذا المناضل الاستثنائي، الذي يمكن اعتباره بحق نموذجا للإنسان المخلص أشد ما يكون الإخلاص للمبادئ التي يؤمن بها وللشعب المغربي الذي كافح ولا يزال من أجل الحرية والكرامة والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وسننشر السيرة المشرفة لهاته الهامة النضالية الكبيرة على حلقات، كدروس وعبر للأجيال القادمة.

1 - النشأة والتكوين في سياق الكفاح الوطني والنهوض القومي

في منزل بمدينة الرباط العتيقة ولد عبد الرحمان بن عمرو سنة 1933 من أسرة محافظة كأغلب الأسر المغربية آنذاك. كان أبوه حاملا للقرآن، شغوفا بالحضارة العربية وكتب التاريخ، أصر على تعليم أبنائه أولا بالكُتاب (ما نطلق عليه بالمسيد)، ثم بالمدارس الحرة التي أسسها الوطنيون المغاربة والتي أغلقتها السلطات الاستعمارية سنة 1944 بعد تقديم الحركة الوطنية عريضة المطالبة بالاستقلال. هكذا لم يتمكن الطفل عبد الرحمان من دخول مدرسة محمد الخامس الحرة إلا سنة 1948، والتي كان معظم أساتذتها متطوعين لا يتلقون إلا تعويضات هزيلة، في الوقت الذي كان فيه أبناء الأعيان يدرسون بالمدارس العمومية، مثل ثانوية مولاي يوسف الشهيرة التي درس بها بلافريج وعبد الرحمن اليوسفي وآخرون.

سنة 1952 وبعد حصوله على شهادة "لبروفي" أي ما يعادل الشهادة الإعدادية سيضطر الشاب عبد الرحمان إلى إقناع أسرته بالذهاب إلى المشرق العربي لاستكمال دراسته، وبعد جهد جهيد للحصول على جواز السفر والمرور عبر باريس، ثم الالتحاق بمرسيليا والسفر عبر الباخرة لمدة اثنا عشر يوما بمعية رفاقه، وصل إلى الإسكندرية وبعدها إلى بيروت وأخيرا إلى حلب بسوريا التي سينال بها شهادة الباكالوريا سنة 1955. المدة الزمنية التي قضاها في سوريا فتحت عقله وعيونه على أفكار ومذاهب متنوعة، بل ومتعارضة كالليبرالية والاشتراكية، والتيارات القومية التي كانت في أوج اندفاعها. لكن ما أثار انتباهه أكثر هو تأييد ومناصرة السوريين والمشارقة عموما للحركات الوطنية في المغرب العربي. ستتوضح الرؤيا أكثر لبن عمرو بعد انتقاله للقاهرة لإتمام دراسته الجامعية. في تلك الفترة كانت القاهرة حسب بن عمرو "الوجهة المفضلة للطلبة من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي نظرا للامتيازات التي كانت توفرها الدولة المصرية مثل مجانية التعليم وإعطاء منح للطلبة والعلاج المجاني بمستشفيات خاصة بالطلبة" ـ مجلة زمان العدد 26 ص3، وعنها أخذت اللوحة المرفقة ـ

المغرب وسط زوبعة انهيار أسعار البترول

◆ بدر الصادق

لفهم مسببات انهيار أسعار النفط في الأسواق العالمية، من المنهجي مقاربة الموضوع على مرحلتين، زمن ما قبل وباء فيروس كورونا ومرحلة ما بعد تفشيه، وتفكيك العلاقة بين المتدخلين العالميين في تحديد سعر البرميل الخام، وكذا تمحيص تأثير هاته التقلبات على الوضع المغربي.

1 في سنة 2016 قامت أوبك بالتنسيق مع الدول المنتجة للبترول خارج المنظمة، والتي من بينها روسيا، وسميت إذاك ب "أوبك بلوس"، وتم الاتفاق على التخفيض من الإنتاج العالمي للنفط بنسبة 2,1 مليون برميل في اليوم، وكان الهدف من هذا الاتفاق بالأساس هو الالتفاف على توسع منتوج جديد في السوق العالمية، والذي هو الزيت الصخري.

2 بعد توسع دائرة انتشار فيروس كوفيد19-، بدأت تظهر بشكل جلي اختلالات السوق العالمية، حيث أن إجراءات الحجر الصحي لمجموعة من الدول في إطار مواجهتها للفيروس، فرضت تخفيض استهلاكها بشكل كبير لمشتقات النفط بصفة عامة، وبالتالي سينتج ضمنيا تراجع في الطلب على النفط الخام، وبالخصوص "الصين" التي تمثل 15% من الاستهلاك العالمي للنفط.

هذا الانهيار في الطلب العالمي، دفع دول الأوبك مرة أخرى للاجتماع في شهر مارس واتفقوا على خفض الإنتاج العالمي للنفط ب 1,5 مليون برميل في اليوم، في محاولة لمواجهة قلة الطلب على النفط وتجنب سقوط ثمن البرميل إلى مستويات قياسية، وأصبح مفروضا عليها توسيع دائرة الاتفاق أيضا إلى الدول المشكلة ل "أوبك بلوس"، وخصوصا روسيا لكي تخفض بدورها إنتاجها للتمكن من الحفاظ على أسعار عالية للنفط عالميا، لكن المفاجأة هي رفض كل من روسيا والمكسيك أي تخفيض لإنتاجهما، بحجة التخوف من التأثيرات السلبية لمثل هذا القرار على اقتصادهما الداخلي، فكان إذاك التدخل الأمريكي على الخط لمحاولة تجنب الكارثة، وقد استطاعت بالفعل إقناع المكسيك لخفض إنتاجها، وبالمقابل أن تتحمل معها الولايات المتحدة الأمريكية نسبة كبيرة من الخسائر، بالمقابل أصر الدب الروسي على قراره بالاستمرار في رفع إنتاجه، فأصبحت الحرب الاقتصادية مفتوحة ومباشرة مع السعودية، بحيث قررت هاته الأخيرة أيضا الرفع من إنتاجها اليومي بشكل قياسي، لدفع الأسعار للهبوط كنوع من الضغط في نظر السعوديين على روسيا، لأن اقتصاد هاته الأخيرة يعتمد على صادرات النفط بشكل كبير، ولكن ما لم يكن لا في حسبان السعودية ولا أمريكا، أن لروسيا سيناريوهات أخرى، فقد رفعت من سقف إنتاجها بشكل صاروخي، وصرحت بشكل رسمي أن اقتصادها لن يتضرر، وأن روسيا اتخذت كل احتياطاتها لذلك، لكن الهدف الاقتصادي الخفي لروسيا كان أبعد من المناوشات مع السعودية، فمرامي روسيا كانت بحشر الولايات المتحدة الأمريكية في الزاوية، كنوع من إعادة التوازن بعد الحرب الاقتصادية والحصار الأمريكي على روسيا، وللتذكير فالنفط الصخري الأمريكي تكلفة إنتاجه عالية جدا بالمقارنة بالنفط العادي ويصل إلى حدود 35 دولار للبرميل.

مرة أخرى ستضطر "أوبك بلوس" للاجتماع والاتفاق هاته المرة على خفض الإنتاج بمعدل 10 مليون برميل في اليوم نتيجة لاستمرا التراجع الكبير على طلب النفط في السوق العالمية بنسبة 30% تقريبا، وهو ما جعل الأسعار ترتفع نسبيا، ولكن هاذ القرار لن يغير في السوق العالمية شيئا، لأن أغلبية الدول كانت قد اشترت ما يلزمها من البترول عندما تهاوت أسعار البترول، وحتى إمكانياتها للتخزين وصلت لنسب قياسية، وقاربت 90% من البنية التحتية العالمية للتخزين : 500 مليون برميل ، كان الحل الأخير المتبقي أمام الشركات العالمية لإنتاج النفط، والذي كان مخاطرة كبيرة في حالة عدم رجوع دورة الاستهلاك لحالتها العادية، هو اللجوء لاكتراء ناقلات عملاقة للنفط، وذلك بثمن 30 ألف دولار لليوم، والذي وصل الآن إلى 200 ألف دولار للبرميل، إذن المضاربة الآن قد تحولت من الإنتاج إلى إكراهات التخزين فالدول أصبحت الآن أمام معادلتين : انهيار أسعار البترول مقابل التكلفة الباهظة للتخزين.

وهذا ما حدا بالطلب على البترول للتراجع بشكل كبير، حيث استمرت سلسلة انهيار سعر البرميل كالتالي: ففي بداية سنة 2020 كان ب60 دولار للبرميل ووصل لأقل من 30 دولار للبرميل، في حين أن سعر النفط الخام الأمريكي أصبح بأقل من 2 دولار للبرميل.

هاته الحرب الاقتصادية الدائرة رحاها الآن على سعر براميل النفط، والتي عراها وباء كورونا، والتي أفرزت انخفاض ثمن البترول، فالرابح منها هي الدول المستهلكة للذهب الأسود، والتي من بينها المغرب، ولكن اختيارات الدولة ورعونتها دمرت القدرة التخزينية للمغرب، والتي كانت مصفاة لاسمير تلعب فيها الدور كبير، لا على مستوى التخزين ولا على مستوى التكرير والتوزيع، وهذا هو الدرس الكبير لاستخلاص العبرة، بتغيير سياساتنا الداخلية التي بقيت دائما رهينة بتقلبات السوق الخارجية وإملاءاتها، وهو نفس درس قطاع الصحة عندما دمرت الدولة المستشفى العمومي.

تعزية ومواساة في وفاة المناضل محمد بلاط

ببالغ الحزن والأسى العميقين، تلقينا نبأ وفاة المناضل محمد بلاط، عضو المكتب السياسي لحزب المؤتمر الوطني الاتحادي والهيئة التقريرية لفيدرالية اليسار الديمقراطي، والمجلس الوطني للكونفدرالية الديمقراطية للشغل وللنقابة الوطنية للتعليم، وبهذا المصاب الجلل، تتقدم جريدة الطريق، بأحر التعازي والمواساة القلبية لأسرته الصغيرة والكبيرة، وقد فقدنا في الرفيق بلاط ذاك اليساري الوحدوي والمناضل العملي والميداني، الذي لا يكل ولا يمل نصرة للقضايا العادلة.. عزاؤنا واحد.

عين على الساحة...

وباء كورونا والحرب

كان الرئيس الفرنسي، أول من اعتبر مواجهة كورونا حربا حقيقية، وبعده تلقف الرئيس الأمريكي الأبعاد السياسية والأيديولوجية لهذا الوصف وتجاوزه في أبعاده على أرض الواقع. إطلاق كلمة ما على واقعة من طرف كاتب او شاعر، لا تحمل عادة نفس الحمولة الطبقية التي تحملها، عندما تصدر عن سياسي أو صحافي. ففي كل الحروب التي جرت بين الأقوام القوية والأقوام الأقل قوة في التاريخ الطبقي، كان جزء من الطبقات التي تستغل خيرات المجتمعات المهددة بالهزيمة، يبحث عن كل سبل الصلح او حتى الاستسلام إذا ما ضمن المنتصر الحفاظ على مصالحه المادية، او على الأقل جزء منها، ومن هذا الجزء من لا يهمه لا النصر ولا الهزيمة، بل فقط استغلال ظروف الحرب للإثراء بكل السبل العادية أو المقيتة حتى، ولا يفكر إلا في تسويق بضاعته المادية وغير المادية، وهناك من هذه الطبقات من يلتجئ حتى إلى الخيانة.

في حالة أي وباء فتاك، مثل كورونا، لا يمكن لأغنياء أي بلد أن يتفاوضوا على صلح، ولا على الاستسلام، ولا تقبل حتى الخيانة، وأكثر من هذا فإن المصالح المادية مهددة بالفناء، من هنا يستعين منظرو الاستغلال في الدول الرأسمالية الكبرى وكذا المنفذون في الدول التابعة مثل المغرب لإيجاد مخرج يضمن الحفاظ على المصالح المادية للطبقات المستغِلة.

في حقيقة الأمر، كانت الطبقات السائدة تخوض حرب إفقار داخل المجتمعات وتخوض حرب نهب ضد الشعوب على المستوى الدولي، قبل الوباء وتسعى الا يتغير شيء في هذا الباب.

زمن كورونا حسب كل علماء الطب الوبائي هو 14 يوما، وأي دولة فرضت الحجر الصحي على مواطنيها لمدة أسبوعين مع إعطائها يوما أو يومين لدراسة النتائج، واتخاذ إجراءات بناء على الواقع الجديد، هذا على المستوى النظري، فإذا لم ينتج عن الحجر حسم نهائي في ضبط المصاب من غير المصاب، معنى ذلك ان تلك الدولة فشلت في عملية المواجهة، والسبب الأساسي هو إصرار الحكام على الحفاظ على مصالح الطبقة المتحكمة في الثروات. المغرب فرض شهرا كاملا ولم يحقق انخفاضا في الإصابات ولا في الوفيات، وأضاف الآن شهرا آخر، لعل وعسى، ليعالج الزمن الوضع الخطير، والحكومة هنا لا تختلف في شيء عمن يوصي بالخرافات والأساطير لمواجهة الوباء، إذ أنها تنتظر أن يحقق الزمن شيئا ملموسا بالحجر، مع إطلاق يد الأغنياء حسب ما يترائى لهم. نحن لسنا ضد الحفاظ على مد السوق بالمواد الغذائية وكل ما هو ضروري، لكن لابد من اتخاذ كافة الإجراءات الواجب اتخاذها. إن تشغيل العمال والعاملات بدون تعقيم المعمل أو الضيعة، ودون كمامات ودون أجهزة كشف الفيروس عند الدخول، ودون تعقيم لليدين، ودون توفير وجبة غذاء يوميا، هو جريمة حسب القانون في هذه الظروف الاستثنائية، لحد الآن بقيت القرى بعيدة عن الوباء لكن إطلاق يد أغنياء الفلاحة للاستفراد بالعمالة القروية سيؤدي لا محالة إلى انتقال الفيروس إلى الأرياف.

ومحاباة الأغنياء في المغرب، لم تظهر فقط في غض الطرف عن بعض مساحات الإنتاج وبعض الخدمات التجارية، بل حتى في فواتير المواجهة والتي لو استمعت الدولة لصوت المجتمع من زمان للحفاظ على دور الدولة في الخدمات الاجتماعية لما احتاجت الى شيء، نعم الدستور ينص على ان تلك الفواتير في حالات الكوارث هي على الجميع، والحقيقة أن هذه الكلمة أدبية فقط وليست لا علمية ولا قانونية، لكن الأكثر مأساوية هو أن كلمة الجميع تعني عند وزراء الحكومة الذين ليسوا إلا وكلاء الأغنياء هو مجموع الأجراء من موظفين ومستخدمين!!

ملاحظة لها صلة:

تلقف عدد من الصحافيين والسياسيين الناطقين بالعربية كلمة جائحة بدل وباء، وجائحة وإن لم تبلغ درجة الجوهر الطبقي المادي مثل استعمال كلمة حرب، فإنها، مع ذلك تخفي بعدا ثقافيا ولغويا. كلمة الوباء من وبأ في العربية عرفها شمال إفريقيا قبل دخول العربية اليه عن طريق السريانية التي كانت لغة دولية ويطلق عليها أَوْبَا، وهي من قديم في الأمازيغية وفي الدارجة وتنطق بهما معا " لُوَابَا " والكلمة في السريانية أتت من نفس الكلمة التي تدل على الخراب والتدمير، في حين أن جائحة لا يستسيغها اللسان الأمازيغي والدارج بسبب حرف العلة في الوسط، وأكثر من هذا تدل على مصيبة وجفاف وكثيرا ما تطلق على اجتياح الجراد لكل أخضر وتحيل على تفسير ديني خاطئ، ويقول الفقهاء بأن الجائحة "هي ما أذهب التمر أو بعضه من آفة سماوية".السياسي والصحافي عليها أن يبحثا عن كلمة مناسبة وسهلة ولا تحمل طابعا إيديولوجيا مفضوحا للعيش، كما في مسلسلات السينما الدينية حيث بعض الناس يفرضون على أطفالهم أن يقولوا في الشارع: أبتي، بدل بِا أو الوالد!!

◆ زياد السادري

مستشفى بن صميم بإفران

تعيش البشرية اليوم على إيقاع انتشار كبير لانتشار فيروس كورونا المستجد، وعلى وتيرة مقاومة المنظومات الصحية للدول له، فقد جعلت هذه الأزمة العالمية الجميع دون استثناء يستشعر مدى أهمية وجود مستشفيات عامة ومصحات متخصصة عمومية متطورة بتجهيزاتها وخبراتها والتي تكون قادرة على حفظ الأمن الصحي لعموم المواطنين، فلماذا دمرت الدولة المعالم الاستشفائية الكبرى التي كانت مفخرة لكل المغاربة: مستشفى بن صميم بإفران - "سبيطار الرية" بابن أحمد - مستشفى دار بن قريش بتطوان.

• ساجي عبد الرحمان

تحقيق

الدولة خططت لتدمير المراكز الاستشفائية الكبرى للمغاربة

مستشفى بن صميم بإفران - سبيطار الرية بابن أحمد - مستشفى دار بن قريش بتطوان

في هذا السياق وجب الوقوف على بعض الأمور المهمة ومن ضمنها القول بأن توصيف البعض لكورونا بالعدو الخفي هو توصيف فيه شيء من الحيف والتجني، لأن هذا العدو المفترى عليه تبين أنه كشاف للأزمات الحقيقية : أزمة الفشل الأخلاقي الذي يطبع عقول النظام الرأسمالي، وقد تابع الجميع كيف فضل ترامب سقوط الأرواح البشرية عوض سقوط الاقتصاد الأميركي، وكيف واعد ماكرون الفرنسيين (من خلال خطاب يوم 13 ابريل المتعلق بإعلان تمديد حالة الطوارئ) بإعادة الحياة إلى مجاريها بعد 11 مايو قائلا بالحرف: « La situation actuelle creuse les iné-galités »، الوضع الحالي يزيد من تعميق الفوارق؛ ولم يشعر الرئيس أنه بجملته هذه قد اعترف ضمنيا بالوجود الأصلي للفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين الفرنسيين، إن أزمة كورونا ما هي إلا محطة من محطات الحقيقة.. محطة تاريخية فاضحة للأزمات الحقيقية لانهيار القيم الذي لازم تنظيرات وممارسة الرأسمالية.

وفي درجة ثانية فضحت أزمة كورونا تهالك وفشل السياسات الصحية لمعظم الدول إذ أن جلها تولي معظم الاهتمام لقطاعات الربح المادي الاقتصادي، وتعتبر قطاع الصحة دون فائدة ربحية، رغم أن نجاعة حفظ الأمن الصحي للإنسان الآن أصبح هو مقياس التقدم الحضاري، ويحيلنا هذا على أمر بالغ الأهمية، فقد أصبحت رابطة المواطن بدولته في هذا السياق الدقيق تحددها تقاس بمقدار ثقته في المنظومة الصحية، لأن الأمر يرتبط بشكل مباشر بتقييمه لاحتمال بقائه على قيد الحياة من عدمه.

تتصارع اليوم جل دول وشعوب العالم "متخلفة كانت أو متقدمة" وما زالت حسب طاقاتها مع فيروس كوفيد19 بأدوات مختلفة، أهمها التكنولوجيا والمجموعات العلمية الباحثة التي تحاول إيجاد اللقاحات والأدوية، و بالعامل البشري المتمثل في الأطقم الطبية والتمريضية والتقنية التي توجد في الصفوف الأمامية للمواجهة، وقد سقطت أعداد منها شهيدة في خدمة الإنسان والواجب..

وبالرجوع إلى المغرب فقد شرعت الدولة قوانين وأخذت قرارات وإجراءات مرتبطة بمواجهة الوباء أغلبها لاقت استحسان الجميع ولها الفضل على الأقل في التحكم في درجة انتشاره ولا يمكن أن نكون ضدها. وعلى الرغم من ذلك نلاحظ استمرار ارتفاع عدد الوفيات بالمقارنة مع العدد الإجمالي للحالات المصابة، الذي يعد صغيرا مقارنة مع دول أخرى، ويفسر هذا الارتفاع دون أدنى شك باختلالات المنظومة الصحية العميقة والمتراكمة ذات الأوجه المتعددة، وهي نفسها التي تعرقل فعالية نجاح سياسة الدولة في محاربة ارتفاع عدد الوفيات جراء الإصابة ب "كوفيد 19".

تحدث الكثيرون عن أوجه اختلالات المنظومة الصحية بالمغرب، وتابعنا رعونة التعنت الواضح للفرق البرلمانية لأحزاب الائتلاف الحكومي وأحزاب المعارضة الشكلية في عرقلة مختلف مقترحات فيدرالية اليسار الديمقراطي، هاته الأخيرة التي سعت دائما وتسعى من خلالها إلى إعطاء المزيد من الاهتمام بقطاع الصحة من خلال الرفع من مخصصاته المالية لتأهيل المستشفيات المهترئة وبناء وحدات ومركبات استشفائية جديدة وتوظيف المزيد من العاملين في مجال الصحة.

وهنا لابد من الوقوف على خطأ جسيم من أخطاء الدولة في تدبير الشأن الصحي للبلاد، والمتمثل في إغلاق أهم المستشفيات العريقة المتخصصة في علاج الأمراض الصدرية والتنفسية في فترات سابقة عوض تأهيلها والحفاظ على دورها الصحي وصيتها القاري والعالمي.

غلق مستشفى بن صميم جريمة في حق صحة المغاربة

نذكر على سبيل المثال لا الحصر مستشفى بن صميم للأمراض الصدرية الواقع بين أزرو و إفران، والمقام من طرف فرنسا سنة 1948 على مساحة 80 هكتارا في منطقة غابوية جبلية تتميز بصفاء جوها وخلوه من التلوث، وقد تأسس بناء على

طلب "موريس بونجان" الذي لم تنجح المستشفيات الفرنسية في تخليصه من داء السل وشفي في المغرب أثناء زيارته للمنطقة المذكورة بالنظر لخصوصيتها البيئية المساعدة على الشفاء من الأمراض الصدرية، كان يتألف المستشفى إبان اشتغاله من 8 طوابق بطاقة استيعابية من 400 سرير وطاقم طبي متخصص يتكون من 4 أطباء متخصصين في علاج الأمراض الصدرية والتنفسية، تحت إشراف طبيب رئيسي، ويساعدهم 32 ممرضا يستقرون في بنايات محيطة بالمستشفى، وكانت أيضا توجد فيه مرافق مختلفة رياضية ودينية وثقافية (قاعات رياضية وقاعة للمسرح والسينما ومسجد وكنيسة...)، وقد كان وجهة للمغاربة ومواطنين من جنسيات مختلفة ثبت شفاؤهم به.

اشتغل المستشفى تحت إدارة فرنسا منذ 1954 حتى 1965 وبعد هذه الفترة مع "استقلال" المغرب أمسكت وزارة الصحة المغربية بزمام أموره إلى حدود سنة 1973، وهي سنة إغلاقه، وقد عرفت هذه المرحلة الثانية سوء التدبير والإهمال، مما أدى إلى تراجعه وإغلاقه رسميا سنة 73، وظل بعدها مهملا بحيث تعرض لعمليات متتالية من السرقة المقصودة والتخريب للمعدات الطبية وكل التجهيزات حتى أصبح مجرد بناية مهجورة تروى حولها قصص من العالم الآخر عالم الجن والأشباح، وللمصادفة الغريبة أن المرحلة اللاحقة عرفت توسع أخطبوط المصحات الخاصة وتغول الرأسمال المتوحش في قطاع الصحة.

الدولة مسؤولة عن دفع "سبيطار الرية" بابن أحمد لإغلاق أبوابه

نفس الوضع المأساوي تقريبا شهده مستشفى الأمراض الصدرية بمدينة ابن احمد المعروف بالدارجة المغربية ب "اسبيطار الرية" الذي شيده الفرنسيون سنة 1941 وظل يقدم خدماته الاستشفائية منذ 1945 إلى حدود سنة 2004 التي أغلق فيها دون سبب مقنع، ويقع هذا المستشفى في مكان يتفرد بمناخ أصغري (Microclimat) دون باقي مناطق الجهة مما ييسر عملية الاستشفاء، يتكون من 4 طوابق بطاقة استيعابية تبلغ 300 سرير وطاقم طبي كان يتكون آنذاك من أكثر من 24 عنصرا ويتشكل من أطباء مختصين وممرضين وإداريين وتقنيين ومساعدين.

الدولة مهدت لغلق "مستشفى دار بن قريش" بتطوان بتركه للإهمال

وهي نفس الخطة الدرامية لإغلاق مستشفى محمد الخامس لعلاج الأمراض الصدرية وداء السل بتطوان المعروف ب "مستشفى دار بن قريش" الذي شيد سنة 1946 إبان مرحلة "الحماية الإسبانية" وكان مبناه يتكون من 3 طوابق بطاقة استيعابية من 314 سريرا، وكان يتميز - قبل إتلافه - بمرافقه الكثيرة وحدائقه.. ظل مستشفى دار بن قريش يعاني إهمال وزارة الصحة، بحيث ظلت هذه الأخيرة ترفض ترميمه وإصلاح مرافقه وصيانة تجهيزاته حتى أتلفت وفسدت قنوات الصرف الصحي والماء الشروب، أما موارده البشرية التي كانت جلها من الراهبات الإسبانيات المتطوعات فقد تقلصت شيئا فشيئا إلى أن قررت اخر ثلاث راهبات إسبانيات مغادرة هذا الصرح الصحي الجميل (سنة 2015) بسبب تعرضهن للإحباط وعدم قدرتهن على الاستمرار في العمل في تلك الظروف الحاطة بكرامتهن وبكرامة المرضى.

لقد كانت المستشفيات المذكورة كلها تلعب أدوارا صحية مهمة في مناطقها محليا ووطنيا، أهمها دور العزل الصحي بعيدا عن التجمعات السكنية للمرضى، وبالتالي حماية الأهالي من العدوى، تخيلوا معي لو تم تأهيلها عوض التخلص منها، ألم تكن لتنفعنا في هذه الأيام الموبوءة؟

لقد تذرع وزير الصحة، أنس الدكالي بتاريخ 03 فبراير 2019، في جواب له على سؤال كتابي قدمه أحد النواب حول الأسباب الكامنة وراء إغلاق مستشفى بن صميم ب "مغالطات منطقية" من قبيل انخراط المغرب في استراتيجية منظمة الصحة العالمية للوقاية ومحاربة داء السل التي مفادها أن تطور وفعالية المضادات الحيوية واعتماد مقاربة علاجية مقيدة أو غير سالبة للحرية تقتضي إغلاق مستشفيات الأمراض الصدرية والتنفسية...

فحتى وإن تحدثنا يا سعادة الوزير عن الملائمة مع الاستراتيجية المذكورة في مجال الأمراض الصدرية، فهذا لا يبرر إغلاق هاته المؤسسات الاستشفائية الضخمة، والتي يفتقر إليها نظامنا الصحي وتسقط العديد من الأرواح سنويا بسبب رداءته.

إن تخلفنا الذي يظهر جليا في حالة قطاعاتنا الحيوية الاجتماعية، في مقدمتها الصحة والتعليم لا يمكن أن تبرره أية أسطورة من الأساطير المؤسسة لسياسة المخزن، فذريعة نقص الإمكانات المادية مثلا هي ذريعة مخالفة للحقيقة، لقد شاهدتم كيف تم إيداع مليارات الدراهم في وقت قياسي بصندوق تدبير جائحة كورونا، و ماهي إلا فتحات مجهرية في جيوب "المخزن الاقتصادي". إن تقدم المنظومة الصحية بالمغرب وأي تقدم أخر هو مسألة إرادة سياسية وقرار سياسي، ولا شيء غير ذلك من الأسباب غير الموضوعية التي تؤبد حالة التخلف، وهي اختيارات للدولة ترمي تأبيد هيمنة الطبقة المنتفعة من الريع المخزني وهيمنتها على الثروة وترك بقية فئات المجتمع فريسة للتفقير والمرض والإهمال المنهج.

إن الوقت قد حان، للضغط من أجل امتلاك استراتيجية عمومية لتأهيل المستشفيات المغلقة وإعادة بريقها ومعه بريق أمل المغاربة في منظومتهم الصحية، لقد أخلفت مستشفيات بن صميم وبن احمد وبن قريش الموعد مع كوفيد 2019، بفعل فاعل دمر معالم تاريخية صحية للاستشفاء العمومي، كانت مفخرة لكل المغاربة، وذلك عن قصد، فأعيدوها كي لا تخلفه مع "كوفيد المقبل".

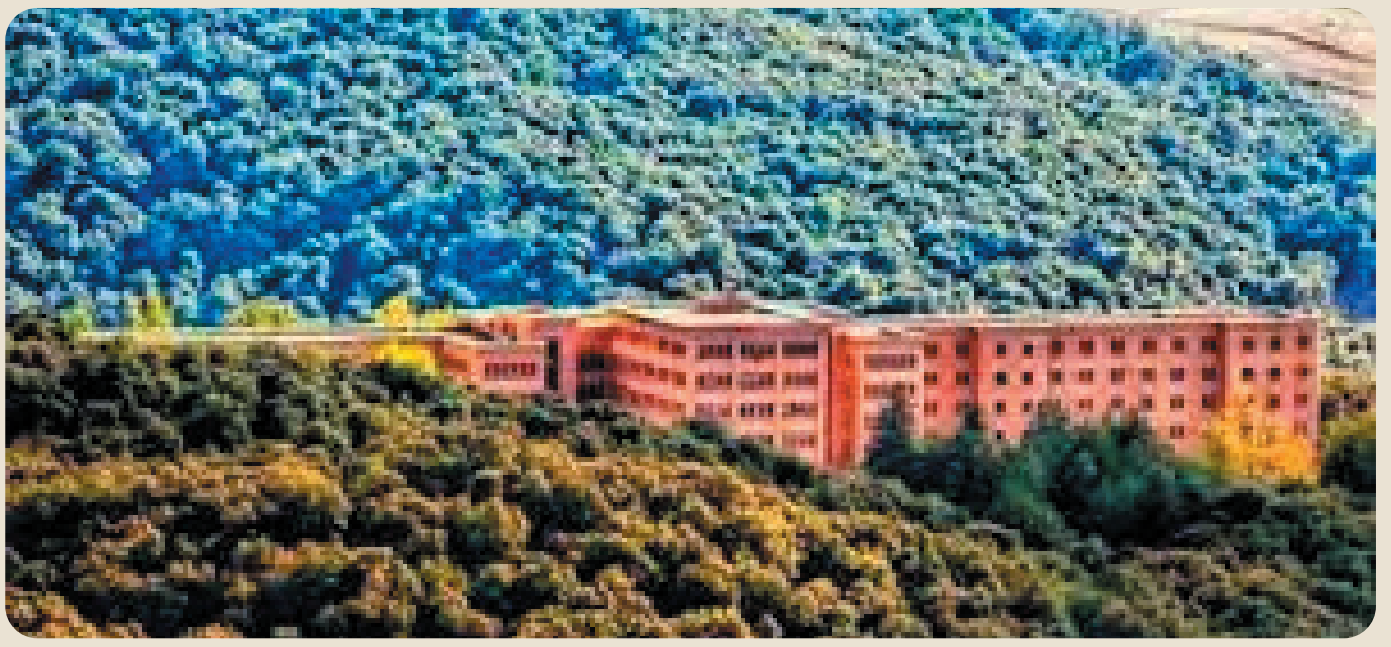

أحفاد أبقراط.. أيقونات لعصر الوباء

• عبد اللطيف أبو الصفاء

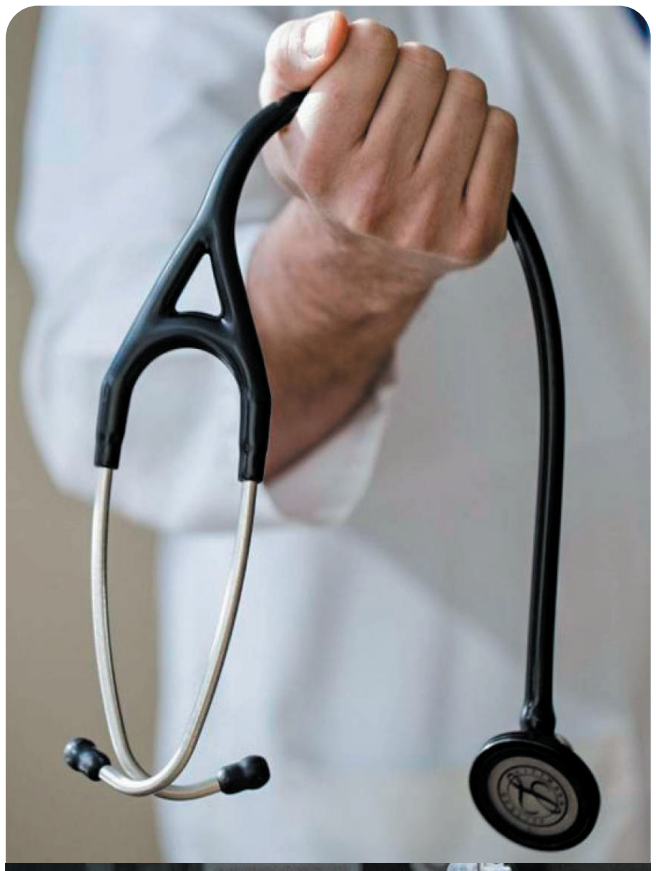

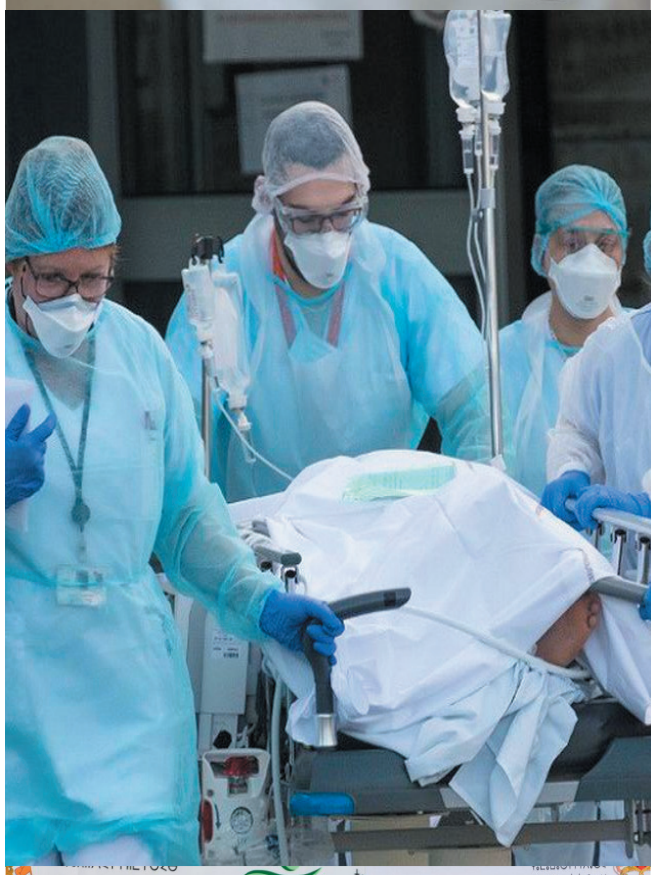

إننا نرثي لأفضل المنظومات الصحية العربية التي كانت تضمنها الدولة الوطنية في سوريا، والتي دمرت بشكل مقصود على مدى تسع سنوات من الحرب على الإرهاب.. و أرثي للفلسطينيين الرازحين تحت نير احتلال عنصري المعادي لقيم التعايش الإنساني السلمي، وقد نبغ منهم أمهر الأطباء، أننا نبكي بحرقة هجرة أدمغتنا الطبية بلفظهم من الدولة واحتضانهم بأرقى مستشفيات العالم..

أما بالنسبة لنا كمغاربة وهذا موقع الرؤية، فالسنة الماضية فقط، تم تسجيل هجرة حوالي خمسمائة طبيب مغربي إلى أوربا، كعنوان على التبخيس الحاصل لدى الدولة للأطر والكفاءات الحقيقية.. وهاهم اليوم صاروا العملة الصعبة الأكثر طلبا من أي شيء آخر.. ولطالما نبهنا إلى أن تفريط الدولة في سيادتها الرمزية على مستوى الصحة والتربية والتعليم هو ما سيقوض مضمونها الوطني، والذي سيصبح مقصورا على الأمن والدفاع والأحوال الشخصية إذا لم تجد من تبيع له مجال التوثيق.. إنها تتحول لدولة تلعب فقط دور الشرطي.

و لأن غريزة الحفاظ على النوع المرافقة للكوارث والمآسي هي ما يعيدنا بالرغم من عنادنا الوحشي إلى الرشد، فنحن لا نتوحد إلا حين الإحساس بالخطر المشترك، لكن التوحد المتضامن كان دوما رهين الإحساس الواعي بالخطر، إذ أن هذا الوعي وحده ما يوجه الانفعال الأولي إلى "الماينبغي أن يكون" للمحافظة على الحياة ضمن أفضل المتاح.. لهذا فالترسبات التي يخلفها الوباء الذي يستشري بيننا باطراد ستتزايد كذاكرة جماعية، وستخترق سلوكاتنا عاداتنا لسنوات، ولهذا فما بعد "كورونا" لن يكون أبدا كما قبلها.. فاقتصاديا نصف الأسرة الحاكمة في مملكة النفط بالعربية السعودية التي تقود منظمة أوبك أصيبت بالوباء و غادر الملك وابنه إلى جزيرة آمنة من خطر الوباء.. أمير قطر رائدة الغاز المسال، و280 من حاشيته غادروا إلى إحدى جزر "السيشل".. حتى تنتهي غربلة الوباء لمن تنتقيهم شروط الحياة في بلادهم للاستمرار في عداد الأحياء، الأمريكيون أيضا سيكونون مجبرين في النهاية على منع التنقل بين المدن وليس بين الولايات فقط. لهذا سيمنحون أي شيء مقابل العلاج ، محطات الوقود ستغلق أبوابها بكل تأكيد. الصينيون وحدهم خرجوا من التجربة شبه آمنين في انتظار ما يتقرر في واحد من الاحتمالات القادمة، فهم يحملون باعتزاز عملي مفيد ذاكرتهم الثقافية من تراكمات تاريخ عرفوا فيه الكوارث والحروب.. نحن إذن في حاجة إلى اقتصاد تربوي، فزمن ما بعد "الفيروس المتوج" ليس كما قبله، ووحده الغبي من يتمادى في خطئه، كما قال القديس سان أوغسطين في القرن الرابع الميلادي..

لهذا فصدقا نأمل الخروج من هذه الجائحة بأقل الخسائر.. وهذا مأمول كل انتماء يتجاوز حالة الاستعباد في شرط الاستهلاكية القاتلة التي تقف اليوم وراء مضاعفة شروط الخطر. وبتتبع الوضع الصحي فالذين تشافوا من الفيروس هم تقريبا نفس عدد الذين قضوا نحبهم بسببه في وطننا السعيد ببؤسه و مآسيه، والتي تتلملم الآن بتظافر إرادة الحياة التي تعيد منتميه إلى مربع التاريخ الثلاثي الأبعاد، فالحالة أنه تعوزنا الحيلة لدرء الموت عن الذين يتساقطون صرعى هنا و هناك، ولأن الإحساس بالموت هو دوما إحساس ذاتي، فالذوات السليمة دوما تتحسسه بالأقرب فالأقرب، ونصيبنا من الألم هو ثمن سندفعه لتسديد فاتورة الغباء والجهل والأمية وتبخيس الأطر والكفاءات وابتذال شهادات التخرج الجامعي، تسييدا لميز طبقي يتحدد بموجبه توزيع لائحة الضحايا في كل الكوارث و كل الحروب. ولهذا فأغنياء الغفلة أو برجوازيو "الهمزة" كما سماهم محمد جسوس رحمه الله، لاذوا بمنتجعات آمنة، منهم من فاء ببعض الفتات ينتظر بَدَله أضعافا مضاعفة من الامتيازات والتبييض الإعلامي المدفوع الأجر بكل تأكيد، تكفيرا عما مضى وفتحا مبينا على ما بعد الكارثة، ومتى كان للرأسمال يوما وطن؟ لذلك فما استثمرناه في الإنسان هو ما يحمل شكل الوطن.

في سياق الخوف المؤلم من الموت مرضا، مع ما استفاق من جشع الرأسمالية القديم تزامننا مع مستجَد الوباء، صار أحفاد أبقراط في كل العالم أيقونة المواجهة التي تخوضها الحياة في مواجهة الموت المعولم، موزعا بالجملة وبالتقسيط ومعلبا على مقاس تبعية مستدامة، وبمنسوب ما ننتج من جهل وأمية قابلة للصرف الربحي، فصارت اليوم تتحول إلى صرف صحي يتنقل من خلاله الوباء المعدي والقاتل لأعز الأقربين، فيفرض علينا الابتعاد عن كل قريب لنتعلم القرب منه على بعد. ونستحضر رمزية الحفاظ على الحياة في السلوك والممارسة. لهذا فأحفاد أبقراط يستعيدون اعتبارية البطل في معركة اليوم ضد الفيروس التاجي المستجد، وينضاف إلى ذلك عودة الثقافة الصحية كسلوك منقح تم تكريره سلوكيا لضرورته، ومجرد التداول الدائم لكلمة "نظافة" يفتح الباب على ذاكرة رمزية تسمو بالتكرير التربوي من نظافة الجسد إلى نظافة الذمة ونظافة اليد بمدلولاتها الأخلاقية الفاعلة في توازن العلاقات الاجتماعية السوية، والتي تستمر باستمرار الإحساس بالخطر الوشيك أو استعادة شروطه السابقة. لأجل هذا فالذين يستمرون بعد الكوارث ينقحون أخطاء السابقين..

سنرى بكل تأكيد الدولة باعتبارها مركز التدبير المؤسسي لإرادة الحياة تعمد إلى انتشال الصحة العامة من خوصصة لم تنتج في كياننا غير عوارض مزمنة تستديم انتفاع الخواص من ديمومة الأمراض، لهذه الأسباب علينا معيرة المستقبل بما تفرضه التحديات، فاستنزاف الديمغرافية البشرية الذي انتقلت إليه رأسمالية النظام العالمي الجديد، حتم على صانعي السياسات الهيمنية زيادة استنزاف المقدرات بدون زحمة المطالب الاجتماعية المتزايدة لدى الشعوب. لذا فأمام هذا الوضع المركب، يطرح سؤال : هل سنستعيد وطنيتنا في مضمون سيادي مستدام؟ أم أن مفهوم الأمن الذي طالما ضمن للجشع أمان شفط المقدرات سيظل معدوما من مضمونه الصحي والتربوي، فلقد غاب بطل "مقولاتنا" في تدبير حرية السوق أن نستحضر أمننا الصحي في المالتوسية الغذائية التي تتغذى منها رساميل لا تعترف بولاء لغير الربح ومراكمة الثروة. فما موقعها الوطني المتضامن اليوم في حضرة الفيروس المتوج سلطانا على أبشع كوابيس الجشعين المحليين الصغار؟

هي دعوة لنتدبر أمرنا بوحدة المصير الذي تقرره الحكمة التي تستمر، وفي ذلكم عبرة لأولي الألباب لعلهم يتفكرون.

وباء كورونا بين الطب النفسي والانتربولوجيا

• ترجمة: محمد معطسيم

المحللة النفسانية والأنتربولوجية والكاتبة : غيثة الخياط

إن تجربة الحجر الصحي ستترك فينا، وفي كل الشعوب أثارا سيكولوجية أكيدة، فهي تخلق رابطا مع الأغيار والعالم، والذات والأقرباء، لم نكن أبدا على وعي به. هذه التجربة في الوقت الحالي، تجسر روابط لا محدودة أكثر من تفكيكها!

فمن حسن الحظ الأشخاص كونهم متصلين، بفضل استعمال الانترنيت والهاتف، وعلى معرفة بأحوال بعضهم البعض، في تبادل لم يقفوا على جدواه من ذي قبل، يتذكرون أصدقاء قريبين وبعيدين، طالهم النسيان أو لم يسمح الوقت لوصلهم، ووالدين بعيدين، وأشخاصا وحيدين، وأشخاصا مسنين.... إلخ وللخروج من هذا الحجر الصحي بأقل الخسارات، علينا أن نشغل أنفسنا بذكاء، وأن نساعد الآخرين بكل الصيغ الممكنة (كلمات، تشجيعات، مناقشات، نوادر، إلخ،) وأن نشتغل، وان نقرأ، وأن نشاهد التليفزيون والأفلام، وأن نستمع إلى الموسيقى، وأن ندعو ونصلي، وان نتأمل.. ألا نضيع هذا الوقت الثمين، داخل الحجر الصحي، وسنخرج أكثر قوة، ونحن نمتلك الإحساس بالقدرة، على قهر العزلة والانغلاق، وتقييد التنقلات البعيدة إلى حد ما.

التأمل في الذات، وفي الحياة، وفيما يعيق الوصول إلى السعادة. إدراك أن فيروسا، أي عنصرا حيا أصغر من أصغر ميكروب، يستطيع أن يربك الأرض كلها، فهذا يضعنا أمام نسبية ما أوتينا من قوة، وما نملكه من قدرات، وما انتهبنا إليه من إخفاق ونجاح.

مرحلة ما بعد كورونا، يتم فيها الاستئناف، وبشكل خاص، ببطء وهدوء: فلا جدوى من الاعتقاد أننا سنتدارك ما ضاع من الوقت، بما أنه لم يكن وقتا ضائعا بل معيشا..

بوصفي أنثروبولوجية، أفكر في هذا الوباء(في الواقع، جائحة عالمية) فأنا أعكف على دراسة مجموعات كبرى من الأشخاص، إلى حد ما. من الواضح أن تركيب المجموعات الاجتماعية متفاوت، ويطرح مشاكل متأصلة للجنسين، وللأعمار، وللشروط الخاصة لكل فرد، ولأمراض موجودة سلفا، وشروط مادية، إلخ

هذا الاختلاف بين الأفراد، وتعدد المجموعات الاجتماعية، يزيد من صعوبة تدبير الأشخاص في وقت الأزمة، وهذه حالة العالم بأسره. نحن وعلى صعيد واسع جدا في طور الإحساس من جديد، بأننا مترابطون على هذه الأرض، بمعنى أننا نعيش كلنا هذه الفترة الصعبة والخاصة من الحياة الإنسانية، ذات التهديد المباشر للصحة والحياة. في الظروف العادية لا وجود ل "حياة بصفر خطر"... هذا الخطر حاليا يداهمنا بشكل غير طبيعي، يتسبب لنا في الإصابة بالمرض، بل التعرض للموت. المجتمعات تدافع عن نفسها بما لديها من إمكانات، وبلا هوادة، لكن الأفراد الذين تكون شخصياتهم هشة، هم أكثر عرضة، في هذه الفترة، لكل أشكال الصعوبات.

فتكون إذن ردود أفعالي، بوصفي طبيبة نفسية (خريجة جامعة بوردو) بالاشتغال مع كل شخص على حدة طبيا. فالوقاية أساسية، وطب الشغل يكون أكثر تخصصا بضبط هاته الوقاية في الشروط المهنية الواجب اتخاذها، وبالتالي فإنه يلقن بطريقة نظامية هذا المفهوم الأساسي" الوقاية خير من العلاج" لا سيما عندما لا يتوفر علاج واقعي، أثبت فعاليته علميا، حسب الأصول.

من المؤكد أن الحجر الصحي ضروري، وهو واجب تجاه الذات عينها والأغيار، كل الأغيار، الأقرباء وكل الذين يكونون العائلة، الحي، المدينة، البلد، واليوم، فإن كل بلدان العالم معنية به. يبقى الحجر الصحي هو أفضل وقاية، والوقاية هي فعلا خير سلوك للصحة، والنظافة العموميتين.

من ناحية أخرى، وبصفتي طبيبة نفسية، فإن تهديد المرض، بل التعرض للموت، يطرح مشكلات سيكولوجية، في العالم كله. فالقلق طبيعة إنسانية من هذا المنظور، فهناك حالات تعاني مشكلا حقيقيا، بسبب الحجر الصحي، خصوصا بالنسبة لأولئك الذين يعانون من رُهاب الأمكنة المغلقة، وأولئك الذين يصابون بقلق مرضي، ومرضى الرهاب، ومن لديهم وسواس المرض، وهو شكل من الأمراض التوهمية؛ من ناحية أخرى فإن الحجر الصحي يمكن ان يكون ميسرا للعلاقات البيتية والشخصية بين الزوجين، وفي كنف العائلة، أوعلى العكس من ذلك، يمكن بروز حالات مشاكل وصراعات، وتفاقم الخلافات، ومناسبة للتصعيد والعدوانية. الوضعيات عديدة للغاية وحرجة، إلى حد بعيد. ففي الحجر الصحي، يلزم على كل حال، إيجاد لحظات من العزلة لأن الفرد في حاجة إلى أن يركز على ذاته، والاهتمام بها والاهتمام بها، وإيقاظ الإحساس بالمشاعر.

التأمل في الذات، وفي الحياة، وفيما يعيق الوصول إلى السعادة. إدراك أن فيروسا، أي عنصرا حيا أصغر من أصغر ميكروب، يستطيع أن يربك الأرض كلها، فهذا يضعنا أمام نسبية ما أوتينا من قوة، وما نملكه من قدرات، وما انتهبنا إليه من إخفاق ونجاح.

شهادة ممرض من الخط الأمامي للمواجهة :

كورونا.. الممر الأسود

• نبيل إبراهيمي

لم أكن أتخيل وأنا ألج المدينة، بعد عودتي الاضطرارية، التي أوقفت زيارتي لأسرتي، أنني سأجد نفسي وسط معركة حامية الوطيس، وأنا بين المحاربين للفيروس، كنت أتصور أن مدينة بوجدور بعيدة جدا عن المدن المركزية التي كان الوباء قد بدأ فيها بالتفشي فيها، هكذا ظننت نفسي في جزيرة معزولة في منأى عن الخطر.

لكن كل ذلك تبدد عند وصولي للمستشفى، فقد تغير كليا وكل الأطقم الطبية كانت على أهبة الاستعداد لمعركة استقبال حالات قد تكون حاملة للفيروس. بعد مرور يومين على تواجدي بالمدينة.. لا جديد يذكر. فجأة نادى المنادي، فوجدت نفسي في الصفوف الأمامية لكتيبة مواجهة غزو الفيروس، فيلقُنا أطلق عليه : "لائحة إلزامية الكوفيد19"، وهي مخصصة للأطقم الطبية والتمريضية المكلفة بتشخيص المرض لدى الأفراد. أحسست بشعور يختلج في دواخلي، وهو مزيج بين الفرح والفخر، إذ كنت أخاطب نفسي قائلا: "لا شيء يمكن أن يضرني مادام دعاء والدتي و رضا والدي يحيطاني، كأنهما جنديان مرابطان لحمايتي".

تلقيت أول اتصال من إدارة المستشفى مفاده أن حالتين مشكوك في إصابتها بالمرض اللعين تتواجدان بالعزل الصحي، يجب أن تخضعا للفحص بالأشعة كمرحلة من مراحل تشخيص المرض، أنهيت المكالمة، أطفأت سيجارتي بعُجالة ثم اتصلت بزميلي المكلف معي بالمهمة. ولجنا المستشفى وكانت الساعة تشير إلى التاسعة مساء، هدوء تام في كل الأرجاء، فراغ في المستعجلات التي هجرها الناس بفعل الفزع الرائج في الميديا، وهي التي كانت وإلى وقت قريب تكتظ بالمرضى، اليوم الكل مختبئ في بيته خوفا من الفيروس. كان المرور إجباريا عبر المرضة المكلفة بالعزل، حيث أخبرتني بأن اللباس المخصص موجود أمام باب مصلحة الأشعة، فتحت باب المصلحة، حملت بين يدي اللباس ثم طلبت من زميلي أن يقوم بتشغيل الأجهزة ريثما يتم إحضار المريضين، علمت أن عملية إحضارهما قد تتأخر بعض الشيء، اتجهت نحو ساحة في المستشفى أشعلت سيجارتي دخنتها بِنَهَم تم عدت. ساعدني زميلي في ارتداء اللباس المخصص للعملية بعد التعقيم، ودب في جسدي شعور بفخر الواجب المهني، عندما لمحت المريضة قادمة من ممر ضوءه خافت، مرتدية قناعا وخلفها المرضة التي تقوم بدفع الكرسي المتحرك، تحول الشعور بالفخر والسعادة إلى نوع من الخوف ويداي ترتجفان، لم أشعر بهكذا خوف حتى وأنا في بداية مساري المهني، بل وحتى وأنا أقوم بالفحص بالأشعة لحالات مستعجلة وجد خطيرة.. هاته المرة فعلا شعرت بخوف من نوع غريب جدا. لوهلة جاء في مخيلتي أن المصاب في يوم من الأيام قد يكون والدي المصاب بالسرطان أو والدتي المصابة بالسكري، أو ربما أنا بعد أن تنتقل إلي العدوى من أحد المرضى. اختلطت الأفكار في رأسي، هي ثوان فقط استغرقها دخول المريضة إلى قاعة الفحص، لكنها مرت كالساعات. أحسست أنني بحاجة إلى سيجارة ثانية لكي أهدأ، لكن حالة المريضة واللباس الذي أرتديه والتعقيم المسبق يحولان دون ذلك، تمالكت نفسي وفي لحظة استعدت كل مهارتي ورباطة جأشي، أنجزت الفحص للمريضة الأولى بعد أن هدأت من روعها، وتكلف زميلي بإخراج الصورة. انتظرت أمام باب المصلحة المريض الثاني جاء هو الآخر من ذلك الممر المخيف، ممر يشبه ذلك الذي يمر به السجين وهو يدخل زنزانته. هاته المرة الشعور بالخوف كان بدرجة أخف، ربما أنني قد بدأت أتأقلم مع الحالات المصابة، وبدأت أتعايش مع الخطر.

أنهينا عملنا، قمت بإزالة تلك الملابس الحربية وعملية التعقيم الثانية، اتجهت نحو باب المستشفى، أشعلت سيجارتي دخنتها بشراهة شبقية، كتلك التي كنت أدخنها خلسة من والداي قبل اكتشاف أمري. ألقيت نظرة على ذلك الممر المخيف ثم أيقنت أن الحرب ضد الجائحة تحد صعب لكننا يقينا سنربحه، وفي النهاية ستكون هاته المرحلة ذكريات مليئة بالفخر، سأرويها لوالداي عند عودتي إليهما سالما.

القطاع الصحي في العصر الوسيط بالمغرب

انفجر النقاش حول وضعية القطاع الصحي بالمغرب بفعل انتشار وباء كورونا مؤخرا ومعاناة العالم بأسره بسببه. والواقع أن الحديث عن هذا القطاع لم يكن وليد اليوم بل كان محط انتقاد دائم من طرف فصائل المعارضة اليسارية تحديدا، ما دام أن الدولة لا تعتبره ضمن أولوياتها، لولا أنه حل الوباء ببلدنا فتبين للعيان كم هو مهم أن يكون لنا قطاع صحي كفء نلجأ له في الأزمات الصحية الكبرى كهاته. وهنا يُطرح السؤال التالي: هل سلوك الدولة الحالي تجاه القطاع الصحي يستمد أصوله من الماضي أم لا؟ بعبارة أخرى، هل حقا كانت الدولة المغربية قديما مهملة للقطاع الصحي أم أن العكس هو الصحيح؟. وكيف نظرت الدولة في الماضي إلى احتياجات المغاربة الصحية، و كيف تصرفت إزاءها، خصوصا في العصر الوسيط؟ هذا ما سنتناوله بالبحث.

• يوسف رزين

يحضرنا في هذا السياق نموذجان للدولة الوسيطية وهما الدولة الموحدية ونظيرتها المرينية، صحيح أنهما توفرتا على وسائل تقليدية وبراديغم طبي وسيطي، إلا أنهما أبلتا البلاء الحسن في مواجهة التحديات الصحية التي واجهت المجتمع المغربي إذاك. والتي إجمالا يمكن تلخيصها في الأمراض العادية كأمراض المعدة والرئة والكبد والعيون ثم التسممات الناجمة عن عض الكلاب أو الأفاعي أو العقارب ثم الأمراض العصبية والنفسية من صرع ثم الأوبئة كالطاعون و الجذام و الجُدري.. لذلك كان على الدولة أن تعالج المرضى وتساعدهم على تخطي مشاكلهم الصحية. وفي هذا الصدد تذكر المصادر أن الخليفة الموحدي يعقوب المنصور أنشأ بيمارستان مراكش وأولاه عنايته، كي يكون مقرا مريحا للمرضى، بحيث وصفه عبد الواحد المراكشي بأنه مستشفى حرص الخليفة على أن يكون متقن البناء بديع الزخارف، كما غرس فيه أنواعا عديدة من الأشجار والزهور ومده بالماء العذب وزينه بأربع برك مائية وأثثه بالفرش النفيسة من صوف و كتان و حرير. وقد أجرى له ثلاثين دينارا كل يوم كنفقة طعام، ومنح المرضى ثيابا تخص النهار والليل والشتاء والصيف. وحينما كان المريض يشفى فإنه إن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل بنفسه، و إن كان غنيا أعاد إليه ماله. تجدر الاشارة إلى أن هذا البيمارستان كان مفتوحا في وجه الجميع دون استثناء. فكل مريض كان يلجه إلى أن يشفي أو يتوفى. وينهي المراكشي شهادته بالقول بأن الخليفة كان يزور المرضى بعد كل صلاة جمعة، و يعودهم و يطمئن على أحوالهم و ظل كذلك إلى أن توفاه الله (1).

و على نفس المنوال سار السلاطين المرينيون، فأنشأ أبو يعقوب يوسف المريني سنة 685ه بيمارستانا بفاس و أوقف عليه كثيرا من العقارات للإنفاق عليه. و حينما تولى السلطان أبو عنان الملك سنة 766ه أضاف إليه زيادات كبيرة. و مما يروى عن هذا المارستان أنه تولى إدارته سنة 900ه طبيب أندلسي يدعى فرج الخزرجي فسمي بذلك بيمارستان فرج. وقد أجاد هذا الطبيب إدارته وأدخل عليه عدة تحسينات، من بينها جعل الموسيقى أحد سبل العلاج للمرضى النفسيين(2).

كما أنشأ أبو عنان المريني مارستانا آخر بسلا، ضم غرفا كثيرة لعلاج مختلف الأمراض والمرضى النفسانيين و رتب له الأطباء و الخدم، و جعل له الأوقاف التي تنفق عليه (3). ومما يحكى عن هذا المارستان أن الطبيب أبا العباس ابن عاشر الأنصاري الأندلسي (ت 764ه) تفانى في إسعاف ذوي العاهات من فقراء سلا، فسموا مارستان مدينتهم سيدي بن عاشر(4) .

و لم يقتصر الأمر على تشييد المارستانات لعلاج المرضى. ذلك ان المشاكل الصحية للمغاربة لم تقتصر على الأمراض العادية، بل تعدتها إلى الأوبئة ومنها الجدري و الجذام والجرب. ولذلك عمل الموحدون على تشييد حارات الأمراض المعدية خارج المدن، متبنين في ذلك سياسة الحجر الصحي. حيث شيد الخليفة يعقوب المنصور الموحدي حارتين للجذمى بسلا و القصر الكبير(5). كما اعتنى السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بالجذمى فعين لهم الأطباء لرعايتهم و خصص لهم مالا يحصلون عليه كل شهر من جزية اليهود(6).

قامت سياسة الدولة إذن بخصوص الجذمى على عزلهم عن السكان، فشيدت لهم حارات خارج المدن، كحارة الجذمى العتيقة بمراكش وحارة الجذمى خارج باب الخوخة بفاس. وفي أيام المجاعة العظيمة (637-619ه) نقل الجذمى إلى الكهوف خارج باب الشريعة. ونظرا لمرضهم المعدي فإن الفقهاء منعوا الجذمى من مشاركة الأصحاء في استعمال المياه العامة، فكانوا لا يستعملون المياه إلا بعد خروجها من المدن ليكونوا آخر مستعمل لها. و قد شرح ابن أبي زرع ذلك قائلا "تكون سكناهم تحت مجرى الريح الغربية، فتحمل الرياح أبخرتهم و لا يصل إلى أهل المدينة منها شيء وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد" (7). و رغم هذا الحجر والإقصاء الذي تعرض له الجذمى إلا أنهم في المقابل تمتعوا برعاية جيدة فيما يتعلق بالتغذية والعلاج والتنظيف. بينما نجد الفرنسيين في نفس الحقبة الوسيطية تحللوا من واجبهم تجاه الجذمى وحرقوهم بشكل جماعي سنة 1321م (8).

و إضافة إلى المارستانات و حارات الجذمى لجأ المرضى إلى الحامات للاستشفاء بمياهها المعدنية الحارة، حيث أدرك المغاربة منذ القدم قدراتها العلاجية. فاهتمت الدولة بتهيئتها وجعلها تحت تصرف الناس. فاشتهرت عندهم حامات فاس كحمة خولان وحمة وشتاتة وحمة أبي يعقوب (9).

القطاع الصحي في العصر الوسيط بالمغرب

• يوسف رزين

و لم يقتصر الأمر لدى الدولة على تهيئة أماكن العلاج من بيمارستانات وحارات الجذمى وحامات، بل وفرت كذلك الأطباء الأكفاء للإشراف على علاج المرضى. ولذلك فقد نبغ عدة أعلام في هذا الميدان، كالفيلسوف الشهير أبي الوليد بن رشد و أبي الحجاج يوسف وعائلة ابن زهر التي اشتهرت بممارسة الطب. فبرز منها الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر والطبيبة أم عمرو بنت أبي مروان بن زهر، التي تحكي المصادر أنها كانت تلج قصور الموحدين وتعالج نساءهم وأطفالهم و إماءهم (10). و قد برع هؤلاء الاطباء في عدة تخصصات طبية كأمراض الرئة والمعدة والكبد وطب النساء والاطفال و الجراحة و العيون و الطب النفسي.

و بالطبع ما كان لتطور الطب في العصر الوسيط إلا أن يبرز بجانبه علم الصيدلة التي انفصلت عنه منذ القرن الخامس الهجري و اصبحت علما مستقلا بذاته. فظهر صيادلة لهم دراية بعلم النبات و الأعشاب دون أن يكونوا أطباء بالضرورة (11). وقد اشتهر منهم كثير كالشريف الإدريسي و ابن البيطار و أبو العباس بن الرومية. و لأن الصيدلة يلزمها مختبرات ومعامل، فقد تكفلت الدولة الموحدية بذلك، حيث ضم مارستان مراكش مختبرا لصناعة الأدوية و المعاجين والأشربة التي يحتاجها المرضى(12).

و يذكر في هذا الصدد أن المغاربة عانوا كثيرا من التسمم الناجم عن السموم النباتية و الحيوانية و عض الكلاب المسعورة ولدغ العقارب و الأفاعي. لذلك اهتم أطباء و صيادلة ذلك العصر بإيجاد ترياق ناجع لهذه التسممات فأنجزوا عددا من التراياقات كترياق الأنتلة و معجون فربيون و ترياق الفاروق و دهن البلسان .

هذا و قد كلفت الدولة الباحثين بتجربة الأدوية في الحيوانات و الطيور قبل وصفها كعلاج للمرضى. و في هذا الصدد يذكر العباس أحمد التيفاشي أن الخليفة يعقوب المنصور أمر بتجربة التراياقات على مجموعة من الديكة الملسوعة من طرف العقارب و الأفاعي قبل اعطائها للمرضى. فقد كان لهذا الخليفة اهتمام خاص بالأدوية و العقاقير، لدرجة أنه أنشأ صيدلية خاصة به عرفت ب"خزانة الأشربة". و كلف بإدارتها الطبيب أبا يحيى بن قاسم الاشبيلي.

و لم يقتصر امتلاك الصيدليات على الخلفاء، بل تعداه إلى الاطباء و الصيادلة. حيث كانت لهم دكاكين تباع فيها العقاقير و الأعشاب الطبية. و من بينهم نذكر ابن الجزار الذي كان له دكان لبيع الادوية للمرضى سماه بيت الصرف (13). و خشية أن يتسرب إلى هذا القطاع الحساس الدجالون و المشعوذون، فإن الدولة الموحدية فرضت رقابتها على بائعي العقاقير وجعلتهم تحت سلطة المحتسب، و عاقبت منتحلي الطب أو الصيدلة بالضرب و السجن و الدية (14).

لكن رغم مجهودات الدولة الوسيطية في تأطير القطاع الصحي، و جعله تحت رقابتها، ظل هناك قطاع صحي آخر غير مهيكل يمارس من خلال الأولياء والصوفية، الذين ادعوا قدرتهم على العلاج من خلال بركة كراماتهم (15). فكل ما استعصى على الأطباء كان الاولياء يدعون القدرة على علاجه باستثناء الطاعون. وبهذا نشأ صراع بين الأطباء والمتصوفة حول من يحق له علاج المرضى. لكن من جهة اخرى نجد أن القطاع الصحي المنظم من طرف الدولة كان مقصورا على المدن، بينما كان سكان البوادي يجدون صعوبة في التنقل إلى الحواضر الكبرى حيث توجد المارستانات. لذلك لجأوا إلى المتصوفة المنتشرين في البوادي(16). وقد اقتصرت أساليبهم العلاجية على النفث أو التفل على مواضع العلة. وهي كرامة اشتهر بها كثيرا الشيخ أبو يعزى الذي يحكى أنه كان يبرئ المجانين والمرضى وذوي العاهات الذين عجز الأطباء عن علاجهم (17).

بقي أن نشير إلى أن رعاية الدولة الوسيطية للقطاع الصحي لم تقتصر على علاج المرضى، بل امتدت إلى رعاية الضعفاء والمهمشين، شعورا منها أن الضعف و الهشاشة هما استمرار للمرض بشكل أو بآخر. وفي هذا الصدد تذكر المصادر أن السلطان أبا الحسن المريني اهتم ببناء دور للعجزة و المسنين الذين لا عائل لهم. وهو ما يوضحه ابن مرزوق قائلا " كان أبو الحسن أشفق خلق الله على من علت سنه ووهنت قوته و قد أجرى على من اتصف بالشياخة من الضعفاء ولازم الخير رواتب تكفيهم ورسمهم في جرائد عماله شيوخ الجامع وبنى لهم دورا شبه الربط...و أجرى لهم كساء في كل عام تكفيهم".

اما ابنه ابي عنان فقد أضاف لعمل والده بأن سدد ديون الذين قضوا في الفواجع و الكوارث و الفتن (18). هذا و لم تقتصر الرعاية الاجتماعية على الجانب الرسمي بل ساهم فيها أيضا المحسنون و الزوايا التي بدورها فتحت أبوابها للجوعى والمرضى والمشردين(19) .

إلى هنا، تبدو الصورة جميلة بخصوص الرعاية الصحية والاجتماعية بالدولة الوسيطية المغربية. لكن هذا الواقع الحسن كان لازما فقط للدولة إبان ازدهارها، أما حينما تنهار فإنه ينهار معها. لقد كان القطاع الصحي بالعصر الوسيط أوضح مؤشر عن حال الدولة ازدهارا و تدهورا. فكل ما ذكرناه سابقا كان يتعلق بفترات استقرار الدولة وعهد ملوكها الأقوياء، أما في فترات الأفول، فإنه تعين على المرضى أن يواجهوا مصيرهم لوحدهم دون دولة مركزية ترعى شؤونهم.

يذكر الحسن الوزان في هذا الصدد حينما زار إقليم حاحا في نهاية العصر الوطاسي أنه لم يجد أي طبيب أو صيدلي، و أن العلاج بها يكاد يقتصر على الكي، شأنهم في ذلك شأن الحيوانات (20).

أما مارمول كربخال الأسير الإسباني الذي زار المغرب في نفس الفترة، فقد أشار إلى أن مستشفى سيدي فرج المعد للغرباء لم يعد يزود المرضى بالأدوية واقتصرت الخدمة فيه على تزويدهم بالطعام (21).

ختاما، نخلص في سياق كل ما سبق أن الدولة المغربية الوسيطية لم تكن تنظر الى القطاع الصحي كعبء ثقيل، بل كانت تعتبره إحدى مسؤولياتها الواجبة عليها. لذلك لم تدخر جهدا للقيام بما يمليه عليها واجبها. فكان هذا القطاع يزدهر بازدهارها و يتدهور بتدهورها. لذلك فما دمنا نحيى الآن في ظل دولة مركزية فمن الواجب عليها أن تعير القطاع الصحي والرعاية الاجتماعية ما يستحقان من اهتمام إسوة بتاريخنا المجيد في هذا الميدان.

(*) الهوامش سترد بالمقال في نسخته الإلكترونية بموقع جريدة الطريق : www.attarik.net .

متابعة

سيناريوهات العالم بعد كورونا

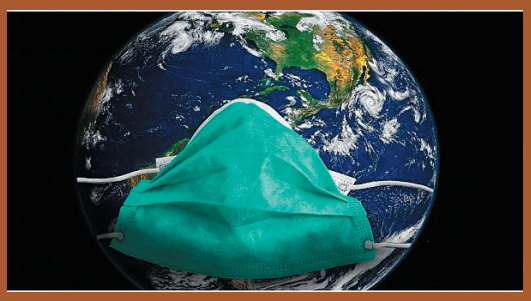

يجمع الأكاديميون والفلاسفة والباحثون في شؤون العلاقات الدولية، في التوافق على خلاصة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السابق "هنري كيسنجر"؛ على أن عالم ما بعد كورونا لن يكون كما قبله وأن النظام السياسي العالمي يعاني من أزمة غير مسبوقة، وقد كشف كوفيد 19 عن هشاشة النيوليبرالية، ولكنهم يختلفون في التقديرات الأولية والبدائل المرتقبة، حسب هويتهم الأيديولوجية، ففي تصريح الأسبوع الماضي لزعيم "فرنسا الأبية" قال: "العالم ما بعد كوفيد 19 سيكون صدمة للنيولبرالية، فأوروبا حسب تعبيره، عاجزة أمام كورونا أكثر مما كانت عليه في القرن 19 في مواجهة الطاعون الأسود"، كما سارت مجلة "فورين بوليسي" الذائعة الصيت من منطلقها الليبرالي، في ذات التفسير، إذ تناولت تقديرات، لعديد من المفكرين والدبلوماسيين تداعيات كورونا على العلاقات الدولية، وأهم خلاصة خرجت بها المجلة، هي هول الأزمة عالميا وتداعياتها على النظام السياسي العالمي، وعودة دولة الرعاية القومية، والاكتفاء الذاتي، وانتقال الثقل الاقتصادي إلى شرق آسيا، وتراجع تكافل دور الاتحاد الأوروبي، ومن الملاحظ أن المفكرين والباحثين الذين قدموا تفسيراتهم بحكم هويتهم الليبرالية، لم يطرحوا انهيار النظام الرأسمالي، كل ما طرحوه هو ترميم النظام المعولم لذاته بعد استيعاب صدماته، وهذا هو الحد الأقصى حسب تصوراتهم، والحال أن مؤشرات واضحة تقول عكس توقعات المنظرين الليبراليين.

حيث تم تسجيل انهيار أهم القطاعات الاستراتيجية للاقتصاد المعولم، ونخص بالذكر:

أ **انهيار البورصة منذ منتصف مارس ب.٪4,5 و .٪5 نقطة.**

ب **إغلاق المعامل.**

ج **شلل في وسائل النقل واللوجستيك.**

فقد كشف كورونا عن عمق الأزمة في طبيعة النظام الرأسمالي وبنيته ومؤسساته، فمتزعمة العالم الغربي وقائدته بالرغم من ريادتها للاقتصاد العالمي وتبوئها للمرتبة الأولى عسكريا وهيمنتها على معظم دول القارات الخمس، فهي عاجزة على سد النقص المهول في القطاع الطبي، لتضطر للتسول لتتسول من الصين المعدات الصحية، أمام ازدياد الإصابات في صفوف مواطنيها، وأغلبهم من السود وأصول أمريكا اللاتينية، وكذا الحديث عن المقابر الجماعية التي أشعلت وسائل التواصل الاجتماعي بهزة عاطفية عنيفة، شدت الانتباه بملايين المشاهدين، حيث الانهيار الشامل لأكبر دولة تسوق للحرية والديمقراطية، وتشعل حروبا أهلية من أجل حقوق الإنسان، وهي عاجزة عن تأمين الحق في الصحة وتأمين الحياة لمواطنيها، وتثبت أنها غير مؤهلة لقيادة العالم، أما دول أوروبا، ما بعد مشروع مارشال ونهاية الحرب العالمية، فنشهد استمرار هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على صناعة القرار الأوروبي، وبالتالي فكل أزمة أو انتكاسة في الولايات المتحدة الأمريكية إلا ولها تأثير على"القارة العجوز" حسب التعبير الأمريكي.

أمام هول هذه الجائحة، تطرح عدة سيناريوهات مفتوحة على المستقبل :

ـ فهل ستجدد الرأسمالية العالمية نفسها، بعد استيعاب الصدمة وامتصاصها، بضخ الملايير من الدولارات في المصارف العالمية والأبناك، والدعم اللامشروط للشركات الكبرى، باستغلال الولايات المتحدة الأمريكية للفائض المالي الخليجي، كما فعلت في 1987 والأزمة المالية ل 2008 ؟ ويبدو أن هذا الخيار غير متاح إلى حدود اللحظة، لأن تداعيات الأزمة انعكست على 3/4 سكان القارات الخمس، ولا تنحصر فقط في أمريكا الشمالية أو أوروبا.

ـ أم هل سيأخذ البيت الأبيض نموذج "مشروع مارشال" كما فعل مع أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ؟

ـ أو هل سيسير العالم الرأسمالي إلى تثبيت نموذج الدولة الأكثر استبدادية وانعزالية بتكريس سلطة اليمين الفاشي المتطرف...؟

ـ أم سيخرج من أنقاض النظام النيوليبرالية، مجتمع أكثر إنسانية لدولة الرعاية، الذي يعتمد على تلبية الاحتياجات البشرية في بعدها الإنساني، كما يتوقع نعموم تشومسكي؟ أو خيار الطريق الثالث الذي سيخرج من العباءة الرأسمالية بديمقراطيته اجتماعية، على غرار النموذج الاسكندينافي سيكون البديل المرتقب؟

إذا كان الرأسمال المعولم بسبب تناقضاته الداخلية يحمل بذور سقوطه على المدى المتوسط، وغير مأسوف على نهايته، فهل خيار اليسار بمفهومه الماركسي والذي يشكل في نظرنا رافعة أممية للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، جاهز عالميا لطرح، خيارات بديلة للنظام الرأسمالي، وقد تخلص من أسر البرامج التقليدية ومن أغلال الانقسامات والتشظي، وذلك لتسريع أممية، والتسويق لبعدها الإنساني والتعبئة والتنسيق والتفاعل مع أوسع الشعوب وجماهيرها التواقة إلى مجتمع الحرية والعدل والمساواة الاجتماعية.

◆ أحمد كاعودي

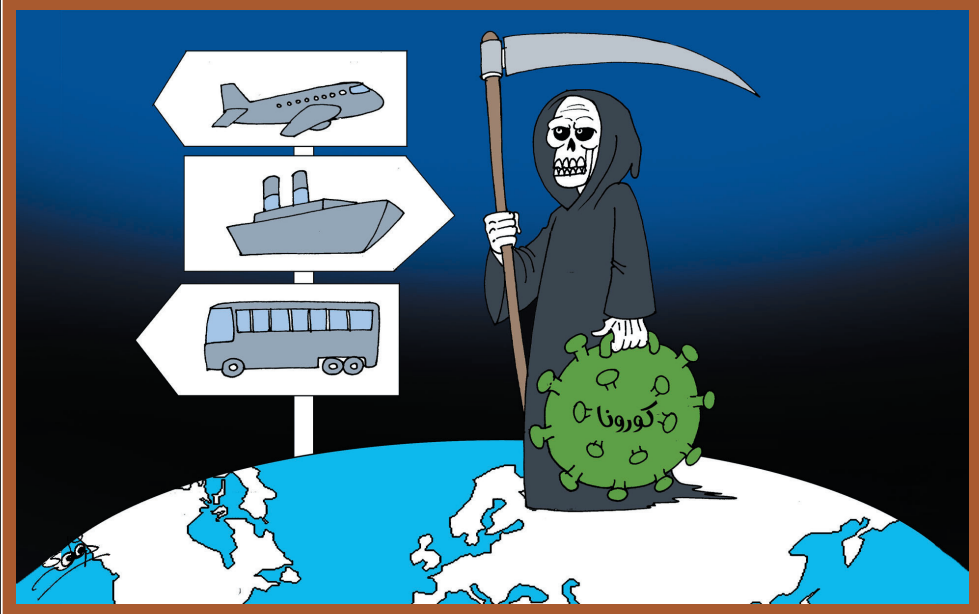

كورونا وانهيار نظرية الكوخ و القصر

اليوم يصغر العالم وينكمش، حتى عاد بالفعل أصغر من قرية صغيرة، بل أضيق من جُحر (والحَجْر جُحرٌ). وقبل ذلك سعى البشر إلى تقليص الحجوم والمسافات والأمكنة والأزمنة وتشابكوا واشتبكوا، واستنكروا الحدود والأسيجة، ووضعوا لأنفسهم طرقا سيارة يُسيّرون ويتداولون فيها كل شيء، سلعا ومعلومات وقيما...ودعَوْا إلى الفتْح، فتح الأبواب والهُويات على مصاريعها ومطاراتها وموانئها، وصنّعوا لكل ذلك قيما جديدة، أنتجوها سلعا وعلبا في المصانع ومراكز الدراسات المعروفة والمجهولة، والويل لمن يدعي ممانعة أو اختلافا أو مقاومة.

اليوم يسود قانون "لامساس"، وآن لكل دولة أن تقبض "رِجليها"، وغدا موقف النأي بالنفس الموقف الأقرب إلى أرواح الناس وحيواتهم.

في هذه الأيام العصيبة تتفقدّ الدول "جوانبها" لترى إن كان هناك من طِبٍ يدفع، أو تعليم ينفع، أو أمن يمنع. فحاجة الحكومات في هذه الأيام أشد إلى بُناتها الحقيقيين؛ الذين بهم تقوم الدول، هؤلاء المغموط حقّهم، المُلتفَت دونهم إلى غيرهم، ممن يحاط بالحظوة والتكريم.

إن الناس الذين يُطلب منهم، وعلى حين غرّة، أن يلزموا مساكنهم، وأن يتحلّوْا بقدرٍ عال من الانضباط، ومستوى كبير من المسؤولية، همُ الناس الذين ـ وحتى أمس ـ يتعرضون إلى جرعات كبيرة وأسواط غليظة من التجهيل والتتفيه والفدامة، تنهال عليهم حتى أدمنوها وغدوْا مريديها. فقد حيل بينهم وبين معلّميهم الحقيقيين، فلم يراعوا لهم قدرا، ولا قدّروا لهم شأنا.

آن الأوان أن يُصالح المجتمع أبناءه الحقيقيين، وأن يطوي كشحا عن ثلة من التافهين (ولعله الوصف الذي يليق بهم من غير شطط)، الذين ملؤوا الدنيا صخبا ورداءة (مرحى للفن الجميل الهادف). وحان الوقت أن تعترف الحكومات بِبُناتها، الذين طالما عدّتهم ربائبها غير المرغوب فيهم.

فعلى حين غرّة تتحسس الحكومات أطباءها وممرّضيها وأسرّتها ومستشفياتها، تدفع بهذا الطاقم الأعزل كلّه إلى الخطوط الأمامية للمعركة، وتضعهم في مرمى النار والعدوى. تنتظر منهم أن يُحرزوا النصر، وهي التي ما فتئت تتبرأ منهم وتبيعهم واحدا تلو الآخر (الحديث عن الأطباء العموميين، الذين آثروا خدمة الناس على متاع دنيوي مفلس)، الحكومات التي جعلت الطبّ قسمين واحد "للأفاضل" والأخر "للأراذل".

في أجواء الوباء تنهار أكذوبة التطبيب الفردي، وتفلس أثَرَتُه أيما إفلاس، ويلوذ الخاص بالعمومي مزاحما، وتتلاشى أحلام أصحاب ملاجئ النجاة الفردية، والفراديس البعيدة والأرصدة الاحتياطية يُعدونها ويطمئنون إليها تحسبا لأي طارئ. (لم يكن ليخطر على بال أحد، هذا الغزو الفجائي لهذا الوباء).

فلا منجاة اليوم من المستشفيات العمومية، ولا مفرّ من التدبير الصحّي الوطني، ولن تُجدي كل محاولة فردية توثر أنفسها على الناس، مُعتنقةً المنطق المتخابث " أنا ومن بعدي الوباء". فالجسد واحدٌ والسفينة واحدة، فلو تُرك الناس وما يفعلون (وما يُفعل بهم) لغرق المركب كله. (لو كان الترياق ممكنا وخيالي الثمن وبيد الخواص!!)...

◆ عبد الحكيم برنوص

الملحق الثقافي الطريق (إبداع وفنون)

◆ إعداد: عبد الغني عارف

في المرآة...

نعيش اليوم، وبإيقاع كوني تراجيدي، وبدون توافق مسبق، زمنَ الحجر الصحي. ولا شك أن لهذا الزمن سلطة عابرة لكل الحدود، سلطة يمكن أن تختزل وجود الإنسان بأكمله وتحوله إلى مجرد لحظة تتلاشى فيها الحدود الفاصلة بين الممكن والمحتمل، بين الذاتي والموضوعي، زمن يتعملق فيه فيروس غير مرئي ليضع الإنسانية بأكملها موضع امتحان وتشكيك في قدراتها العلمية ومكتسباتها التكنولوجية.

وإذا كانت قد صدرت في الآونة الأخيرة دراسات وكتب متعددة تتحدث عن السيولة في كل شيء: في الحداثة والثقافة، وفي الأزمنة والحياة، فيبدو أن مشكلة الزمن بصيغة الحجر هي أنه يجمع بين الجمود والسيولة في خلطة نفسية عجيبة: فبقدر ما هو جامد من حيث امتداده الذي لا ينتهي، بقدر ما أنه سائل من حيث لزوجة انقضائه والاستعصاء على ترويضه أو التحكم في شراسته دون مراوغات محددة. لقد أصبح هذا الزمن مادة سائلة بين المشاعر والأحاسيس وشبحا نخافه ونتحايل على مهادنته. وهو زمن لم يجربه حقيقة إلا من عاش تجربة الاعتقال والسجن حيث يغدو كل شيء رهينا بدقات ساعات بطيئة لا تتقن سوى تعميم قساوة الوقت وعبثية الأشياء..

ترى كيف يعيش المثقفون والمثقفات والنخبة الواعية سيولة هذا الزمن وهم "ضحايا" حجر كان آخر ما يمكن أن يفكروا في احتمال وقوعه؟ . ماذا تعني لهم القراءة والكتابة في هذا الزمن؟ وهل يمكن ان تكونا بلسما روحيا يساعد على التخفيف من ضغوطات المرحلة؟. كيف يمكن للإبداع أن يوثق تفاصيل هذه التجربة الإنسانية؟. وبكلمة موجزة، ولكنها مستفزة بلا شك: كيف يحيون سلطة زمن الحجر الصحي باعتباره زمنا يتمرد ضد رتابة المألوف ويصعب فيه تعليب الانتظار. ؟

الحجر الصحي: سلطة الزمن السائل...

◆ عبد الغني عارف

القراءة والكتابة في زمن كورونا

◆ ذ. أحمد بنميمون

*شاعر وروائي

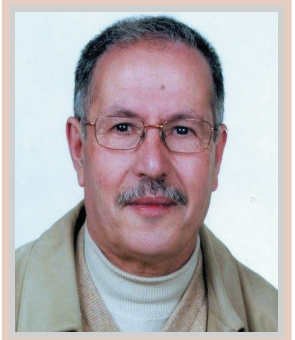

زمن الحجر الصحي الآن يكاد يخرج عن كل التوقعات، خاصة بالنسبة إلى من لا يعرفون شيئاً عن أي زمن صعب عاشته بلادنا من قبل، هذا رغم كل التخوفات التي بدت على الناس وهم يزدحمون على أبواب المتاجر كبراها وصغراها، لاقتناء ما يتصورون أنه يكفيهم هول الحجر وويلات ما يوصي به الناس وما يشير عليه به من تباعد اجتماعي، وإغلاق أبواب إن لم يلح حتى على إغلاق قلوب، فطوبى لمن يجدون سلوى فيما يكونون قد راكموه لأنفسهم من عادات محمودة، فكيف بالمبدع الذي ترسخت القراءة والكتابة لديه حتى ليمكن التأكيد على أنهما قد أصبحتا طبعين راسخين في برنامج حياته، بعد عقود من مراسهما ليل نهار، فلا تتغيران وتيرة مهما كانت الظروف.

وقد حل بنا الحجر الصحي وأنا بين كتابين قد يفاجئ القارئ بعد ما بينهما، لكن طول جلوسي إليهما جعلني أكتشف علاقات تجمعهما، وذانك هما كتاب :(المفضليات) للمفضل بن محمد بن يعلى الضبيّ، ورواية: (طيور هوليداي إن) للروائي اللبناني ربيع جابر، فإذا كان الفارق الزمني بينهما شاسعاً عريضاً، فإن ما يجمعهما من وصف الحياة العربية، في وجهيها القديم والحديث، شديد القرب والشبه إلى حد بعيد: فقارئ الكتابين تستوقفه مشاهد قتل الأهل بعضهم بعضاً، بل وصور قتل فردية وجماعية، سواء أكان أرض المعركة في إحدى القبائل العربية القديمة ، أو أحد أحياء بيروت الغربية أو الشرقية، وقد كانت ساعات الصباح عندي لقراءة الشعر، في حين كنت أنصرف ليلاً إلى ما دونه ربيع جابر من تفاصيل دقيقة للحرب الأهلية اللبنانية في سنواتها الأولى،(إلى حدود سقوط مخيم "تل الزعتر" على يد القوات الانعزالية إذا أردنا الدقة). وفي الكتابين مشاهد مروعة عن سقوط قتلى ومراثي صرعى، وضياع أحباب وفقدان أقارب، مع اختلاف مراحل التاريخ.

ويؤكد ذلك، في الكتابين على اختلاف نوعهما، أن الكتابة هي بالفعل بلسم روحي يعين على تحمل ضغوطات الحياة تحت أي ظرف كان، وأن المبدع، مهما كانت أداته الإبداعية قادر على توثيق تفاصيل كل ذلك. إلى درجة برهن معها الروائي ربيع جابر، بشهادة الناقد الكبير فيصل دراج، في روايته الآنفة الذكر: أنه (مؤرخ بين الروائيين وروائي بين المؤرخين)، أما صاحب المفضليات فقد وفق في مختاراته الشعرية إلى تقديم صورة الحياة العربية القبلية والسياسية القائمة منذ البدء على القتل، أو هو الواقع العربي القديم الذي لم يكن اللجوء فيه إليه، في الحق أم في الباطل، يترك للإنسان العربي أي هامش ليعيش أي لحظة من حياته إلى اليوم، يحفظ فيها للفرد أي قدر من كرامة، أكان داخل القطيع مستكيناً ضارعاً خاضعاً، أم مستقلاً في بعد، عمّا ينتظر أن ينزله الزمان به فـ(الدهْرُ يَعقُبُ صالحاً بفساد) كما يقول أحد شعراء المفضليات.

جعل الله آخر هذا الحِجر خيراً، وحفظ شعبنا من كل شرٍّ مستطير.

زمن الحجر: محاولة لتطوير مفهوم العيش المشترك في الحد الأدنى..

◆ ذة. أمينة الصيباري

* شاعرة وسينمائية

الحجر الصحي كلمة لم يكن لها أي صدى في حياتنا اليومية قبل مجيئ فيروس كورونا. من منا كان يتخيل أنه سيجد نفسه بين ليلة وضحاها محتجزا في المنزل؟. لا أحد بالطبع. بالنسبة لي، العزلة كانت مطلبا شاعريا في زمن آخر. كنتُ أتمنى أن أجد نفسي في المنزل، غير مطالبة بالخروج، لأقرأ أو أكتب وأمارس طقوسي كامرأة. لكن أن تتحقق الأمنية بإيعاز من فيروس فتاك فذاك أمر أخر. فرق كبير بين أن تختار العزلة وأن تكون مفروضة عليك. هنا تنقلب المعادلة. في الأيام الأولى كانت مسألة التأقلم أصعب، رغم أن حياة امرأة بالمنزل غالبا ما تؤثثها مشاغل عديدة طيلة النهار، فبدأت تطفو حكايات المساجين في كل الأدبيات التي اطلعت عليها في السابق آو في الأفلام العالمية، الإحساس بالاحتجاز أمر لا يطاق. في البداية تعذرت علي القراءة أو حتى الكتابة وتملكني خوف مما سيأتي، ورعب من أن لا أرى ابنتي ثانية، لكن سرعان ما انتبهتُ إلى أن قيمة الحياة في الحجر ربما هي أهم من قيمتها في الحياة العادية لأن اليومي، غالبا ما يجرفنا فلا نكاد نجد وقتا للتأمل والتفكير فيما نفعل. الإيجابي في الحجر هو إعادة تشكيل علاقة مع الذات ومع الأخر. كيف يمكنك ترويض الحيوان الاجتماعي فيك، فتمتنع عن زيارة الأهل والأصدقاء وتكتفي بارتياد أماكن بعينها لتدبر أمر المعيشة. الحجر أيضا مكن من إعادة تشكيل العلاقات داخل الأسرة وفق منطق التواجد طيلة الوقت في نفس الحيز ومحاولة تطوير مفهوم العيش المشترك في الحد الأدنى، وفق شروط جديدة تمكن من استغلال كل فضاءات المنزل بما في ذلك رفع القداسة عن الصالون الذي كان معدا سلفا لاستقبال الضيوف. هذا التأقلم يفترض تأمين الاكتفاء الذاتي في كل شيء حتى في الأشياء التي تعودنا اقتناءها من الخارج من قبل، وخلق جو يساعد على التخفيف من وطأة التواجد في نفس الفضاء ليل نهار. في العزلة حل التواصل في الفضاء الافتراضي محل اللقاءات المباشرة، فأصبح التدوين أكثر من ذي قبل وكذا الانخراط في التحسيس ونشر الأفكار الايجابية، فضلا عن تقاسم البسمة مع الآخرين كشكل من أشكال الترويح عن النفس. الأكيد أن التجربة ستطبع حياتنا فيما بعد وستجعلنا نغير أشياء كثيرة فينا بما فيها نظرتنا للحياة.

الحجر الصحي: عودة للتفاصيل الصغيرة وللزمن الوجودي...

◆ د. محمد خفيفي

* مسؤول نقابي وباحث في الخطاب السردي

أتاحت جائحة كورونا، ومعها الحجر الصحي، لكل واحد منا أن يتنصل من ضغط اليومي واكراهات العمل وثقل المسؤوليات والارتباطات والالتزامات التي لا تنتهي إلا بخنق الأجندة الأسبوعية على حساب الراحة والصحة والعائلة، الحجر الصحي بالنسبة لنا هزة نفسية أشعرتنا أن هناك ما يستحق الانتباه وأن دائرة التفكير يمكن أن تتسع لفضاءات ظلت مركونة في الهامش والمنسي واللامفكر فيه.

أحس اليوم أن عملي كنقابي يستنزفني كثيرا، يحرمني من تجليات الوجود الغامرة بالمحبة والدفء وعشق التفاصيل، جريٌ بسرعة فائقة نفقد فيه بوصلة الأولويات، شفيعنا فيه قضاء حوائج الناس والدفاع عن حقوقهم. وهو معطى يسكننا ويقض مضجعنا الآن بالتفكير في الفئات الهشة، الفقيرة، ومدى قدرتها على التكيف مع الوضع الجديد، وكذلك التفكير في كل المرابطين في الصفوف الأمامية من أجل صحة المغاربة، ومن خلال المتابعة لما يعتمل داخل قطاع التعليم من مستجدات بما فيها التعليم عن بعد ونقاشات حول مآل السنة الدراسية والامتحانات ...

أعادني الحجر إلى أحضان مكتبتي، إلى التفاصيل الصغرى التي تؤكد إنسانيتي، إلى الزمن الوجودي الذي أستطيع في فيه أن أعيد ترتيب الأشياء: مشي وقراءة وطبخ ونوم وحلم، شغب طفولي، ومتابعة لما يحدث عبر الفضائيات والسؤال عن الأبناء والأهل والرفاق، لكن المهم هو أنه أتاح لي التصالح مع القراءة بشكل أعاد لي الثقة في قدرتي على الكتابة والمواكبة النقدية. أنهيت قراءة ثلاث روايات كانت الأولى "الحياة من دوني" التي أهدتها لي الكاتبة عائشة البصري وأنهيت أيضا رواية السوداني حمو ريادة "شوق الدرويش" ومعتكف على إتمام رواية" حدائق الله" للتونسي سعيد الصافي، بجانب ذلك تأخذ مني الكتابة حيزا مهما للإنجاز والتفكير، فقد وضعت دراسة نقدية حول رواية نسائية، ودخلت تجربة الكتابة عن بعض القضايا المرتبطة بالعمل النقابي ضمن مشروع مستقبلي نروم الوقوف فيه على بعض الإشكالات النقابية التي اعترضتنا أثناء مسارنا النضالي... متأكد أن هذه المرحلة ستفرز كتابات قد تصنف يوما في أدب الكورونا، نتابع ما يكتبه وينشره أصدقاؤنا وصديقاتنا، المبدعون والمبدعات، من يوميات وخواطر تشترك في كون الكتابة هي مآلنا الحميمي لقهر الخوف والقلق وفك الحصار وزرع أنزيمات الأمل والرجاء... جرعات ندفئ بها حاجة الروح إلى التماهي مع ما نطمح إليه من تغيير ....

العزلة الصحية، جعلتني أكثر قربا من الطبيعة.. من الأشجار ومن الغابات اللامتناهية..

◆ دة. رشيدة رقي
* أستاذة جامعية للبيولوجيا وفاعلة جمعوية

تجربة العزلة الصحية تجربة عظيمة بكل المقاييس. سنة 1969 قالت الكاتبة الفرنسية الكبيرة مارغريت دوراس : "أنا مع فكرة أن نغلق جميع الكليات، جميع الجامعات، جميع المدارس. أن نبدأ من جديد، علينا أن ننسى التاريخ، تاريخ فرنسا، أن ننسى الفظاعات التي لم نعد نستحمل ذكراها. إذا لم يتغير الإنسان في عزلته، فلا شيء ممكن، وكل الثورات ستكون مزورة". نعم لابد أن نعيد النظر بشكل جذري في برامجنا، في عاداتنا، في قراءاتنا، في قيمنا وفي أولوياتنا. بالنسبة لي كأستاذة للبيولوجيا عشت هاته التجربة بكل جوارحي، لأن حلما كان يراودني أصبح يتحقق أمام عيني، هذا الحلم هو أن يقترب الناس أكثر من عالم العلوم ومن الثقافة العلمية. تصوروا معي نصف البشرية يتلقى يوميا معارف من عالم الصحة وعالم البيولوجيا ونرى يوميا علماء متخصصين يطلون علينا عبر شاشات التلفاز وشاشات الهواتف ليشاركوا علمهم مع عدد هائل من المواطنين.

هذا الوباء أثار انتباهنا أيضا بأن الطب والعلم بدون تأطير قيمي وأخلاقي وسياسي يصبح هداما، ورأينا ذلك بالملموس من خلال تصريحات بعض الأطباء الفرنسيين بخصوص تجارب اللقاح في أفريقيا. هاته الأحداث فتحت لي المجال للكتابة حول أهمية التكوين في البيوايتيقا لطلبة كلية الطب والعلوم البيولوجية. ونشرت أول مقال حول هذا الموضوع وستليه مقالات أخرى مثلا عن مفهوم الموافقة الحرة والمستنيرة للمشاركة في الأبحاث العلمية حول اللقاحات.

عندما اقترحت منذ عشر سنوات تكوينا حول البيوايتيقا لطلبة الماستر، كثيرون لم يفهموا أهمية هذا التكوين. لكن الان، الأمر تغير، بسبب هذا الوباء الصحي وما صاحبه من نقاشات حول التأطير القيمي. وأصبح كثير من الطلبة والأساتذة يحسون بأن التكوين العلمي لابد أن يرافقه تكوين حقوقي وفلسفي. فكل باحث أو طبيب لا بد أن يجعل احترام الكرامة الإنسانية هدفا أساسيا لكل تطور علمي وطبي. وحصول هذا الوعي هو أيضا حلم أخر كان يراودني وأصبح يتحقق أمام عيني.

قراءتي أيضا تأثرت بما نعيشه من نقاش أخلاقي، حاليا أقرا كتابا حول أهمية الأشجار لفهم العالم وفهم الكون الذي نعيش فيه. والعزلة الصحية مكنتني بأن أقرأ بشكل مختلف، أن أقرأ بتأنٍ وتأمل وببطء متعمد، وكأنني في رحلة مشي هادئ في ممر جبلي محفوف بأشجار باسقة وكل مرة أحس بالرغبة في التوقف لتأملها والاستماع إليها. أقرأ ببطء كتابا عنوانه "الشجرة العالم" وبالفرنسية "L'arbre monde" للكاتب الأمريكي ريشارد باورز، وقد حصل هذا الكتاب على الجائزة الكبرى للآداب الأمريكية سنة 2018 وتتطرق الرواية لموضوع علاقة الإنسان بالطبيعة وعلاقة الأشجار ببعضها وحوارها مع الأرض ومع الشمس ومع السماء، يحكي حكاية الإنسان الذي لم يعد يسمع حفيف الأغصان ولم يعد يتأمل تمايلها وعناقها. كل قطعة أرض تنتظر منا أن نجدد النظر إليها، فهناك طرق لامتناهية للتفرع، والأشياء يمكنها السفر في الأمكنة وهي ثابتة في مكانها. هذا الكتاب هو أيضا عن الفن، عن العلم، عن مستقبل الكون. فالكاتب درس الفيزياء وعرف الكون بنظرة العالم تم درس الأدب، مما جعل شاعريته أكثر إنصاتا للعالم. يقول الكاتب حين ننصت للأشجار، فإن صوتا داخليا يقول لنا أنتم أعلى، أنتم أسمى، أنتم على طريق الحق. أوركسترا كاملة من الأشجار الحية تغني في أذاننا: لو كان قلبكم أخضر قليلا، لغمرناكم بالحقيقة.

العزلة الصحية، جعلتني أكثر قربا من الطبيعة من الأشجار ومن الغابات اللامتناهية. جعلتني أيضا أكثر قربا من القراء عبر النقاشات الكثيرة حول الكتب، خصوصا عندما أطلقنا في شبكة القراءة بالمغرب أسبوع قراءة أدب الرحلة إحياء لليوم العالمي للكتاب الذي يخلده القراء سنويا يوم 23 أبريل.

الحجر الصحي: البحث عن أوكسجين الحياة بين السطور...

◆ ذة. سعاد الطاوسي
* شاعرة وفاعلة جمعوية

إن الحديث عن العلاقة مع الكتاب، قراءة أو كتابة، خلال هذه الفترة التي يعرفها العالم برمته، وهي الحجر الصحي أو ملازمة البيت، مدت الجسور بين الفرد والكتاب بشكل يختلف عما هو مألوف في العادة، سواء بارتفاع عدد ساعات القراءة أو باللجوء لها من لدن من خاصموها بمبررات الانشغال وغياب الوقت لذلك. إن التغيير الذي فرض علينا أربك إلى حد ما حسابات الكل، فما بين سؤال كيف سأقضي اليوم وجزء من الليل بدون عمل وبدون برامج تعود عليها المرء، كان لابد من البحث عما يمكنه أن يبدد حيرة مظلمة طفت على السطح في هذا الزمن، زمن الكورونا، غير أنه ومن بين محاسن تلك الحيرة العودة إلى حضن الحرف قراءة أو كتابة أو هما معا، كما أن هناك من وجدها فرصة لتعويض النقص في تحقيق ما يطمح إليه من سفر في عوالم الكتب التي كانت تنتظره ورغم شغفه بها لا يتمكن إلا من اليسير منها بشكل يومي في الوضع العادي، فالكثيرون عانقوا الحرف تغلبا على المتغيرات، بحثا عن أوكسجين الحياة بين سطور، ووجدوا ضالتهم في ركوب موج الكلمة مبتعدين عن الجهل، مقتربين من عوالم مشرقة تغنيهم عن التفاهة المحيطة بنا. وارتباطا بتجربة شخصية كواحدة ممن تشرق شمسها عبر دفتي كتاب، وجدت غايتي في اللقاء مع بعض من الكتب التي كنت أنتظر اللحظة التي أسبح بين جملها، لتتغير بذلك وثيرة مجالستها وتمتد لساعات مجتمعة أو متفرقة خلال اليوم.

فوحدها القراءة تمكنك من امتلاك العالم، والسفر بين الدول دون مواصلات، بل وتمنحك إمكانية التموقع بين الأزمنة المختلفة حتى تلك الضاربة في عمق التاريخ، وتمكنك من زيارة أمكنة ربما لم يعد لها وجود في الحاضر، تساعدك حروفها على نسج الخيوط لتتبين معالم حاضرك الذي تلفه الضبابية عبر فهم السياقات التي أنتجته، والظروف التي تحكمت فيما هو عليه الآن، كما سنحت الفرصة للتعرف على المختفي بين الرفوف أكثر والذي لم يسمح الوقت بملامسته من جديد رغبة في القراءة الثانية أو الثالثة والتي تجعلك تدرك ما أغفلته في قراءتك الأولى.

لا يمكن للإنسان العيش بدون هواء أو ماء، ولا يمكن للفكر الاستمرار بدون عطر الكتب، ولا الروح بدون أوكسجين الحرف، ويمكننا التعرف على مشاعرنا وكيف تؤثر على كيمياء الجسد عبر تدفق الأدرينالين الذي يتم من خلال عيش اللحظات مع شخوص رواية، وأبطال قصة، وفصول وأحداث تهديها لنا تلك اللآلئ الممتدة على البياض لنتعرف على ذواتنا ومحيطنا أكثر لحظة القراءة.

عالم من ركن صغير

◆ الزبير خياط
* شاعر وباحث في قضايا الأدب المغربي

نعيش ظرفا استثنائيا لم يكن يتخيله أكثر المتشائمين سوداوية. جرثومة تحاصر العالم بالخوف والتوجس، والكل يلتزم بالحجر الصحي. حرمنا من أفق السماء، ومنادح الأرض. ولاذ كل واحد بركنه الصغير. غير أن ركن المثقف يبقى أوسع وأغنى، المثقف يحتمي بالقراءة ومنها ينفذ إلى العوالم البعيدة متخطيا أبعاد المكان والزمان لأنه يُحِلُّهما في كيانه.

القراءة والكتابة عالمي الواسع ولا أنكب الآن على كتاب ورقي إنما أتجول بين عيون الشعر العربي في المواقع الرقمية إذ يكفي أن أكتب عبارة من القصيدة حتى تأتيني قبل أن يرتد إلي أنملي. هذا الاستدعاء للشعر والشعراء صالحني مع نصوص كثيرة اكتشفت أن سنوات مرت دون أن أقرأها، تماما كصديق قديم تبعدك عنه الظروف وحين تلتقيه بعد طول غياب تقتحمه بتلقائية كما لو أن الغياب لم يكن. قراءتي لا خط زمني لها، أستحضر تأبط شرا إلى جانب درويش أو أبا ماضي مع المتنبي، وأقرأ عبد السلام بوحجر مع النابغة أو جرير . أنتقي من المفضليات والحماسة، وأنقلب مائة وثمانين درجة نحو سركون بولص وشوقي عبد الأمير. مدارات تأخذني بانتقائية ذاتية نحو كواكبي الأثيرة. هذه القراءات الشعرية لا تستأثر بكل المقروء فجزء منه للمواقع الإخبارية واليوتوب أتتبع الأخبار الإعلامية والطبية وأنصت باهتمام لعلماء لم أكن يوما أعرف عنهم شيئا فالجائحة فرضت علينا معرفة أخرى لم تكن ضمن أولوياتنا. جزء آخر من الوقت لتلاميذي الذين يتابعون معي حسب مستطاعهم ورغبتهم دروسهم عن بعد .

أنكب الآن كذلك على إعداد ديواني الشعري الرابع الذي اخترت له عنوان "دانتيل" ،أختار رسومه وخطوطه وتوزيع أسطره على الصفحات لأنني أثق في ذوق الشاعر مبدعا في إخراج أعماله، وأكتب فقرات من كُتَيب نقدي حول الشعر الحديث أضمنه معرفتي بالتحولات الفنية في القصائد الحديثة. لزوم البيت قادني إلى التأمل في أحوالنا والغريب هو أن كل ما انتقدناه في حضارتنا الحالية أصبحنا نحنُّ إليه: السفر المرفه، والتسوق في المتاجر الكبرى، ومباريات الكرة الصاخبة، والمدن الكبيرة المزدحمة وسياراتها المجنونة... حياة اعتبرناها قشرة رأسمالية مقيتة ونحن متخمون بها، وحين حُرمنا منها تحرك فينا الحنين إلى ممارستها.

اكتشفت أننا فعلا أبناء هذا الزمن، هو زمننا الجميل رغم أعطابه.

القراءة.. شمس تطرد كل أشكال الظلام..

◆ ذة. نوال البكري * أستاذة وفاعلة جمعوية

يعتبر البعض القراءة سبيلا لاستثمار أوقات الفراغ، وفي ظل هذه الظروف الطارئة، تضاعف انكبابي على الكتب وتوسيع مقروئياتي وتنويعها. هي فرصة أيضا لتفقد بعض الرفوف بمكتبتي، إما لإعادة قراءة كتب أثرت في، أو رفع "الحجر" عن أخرى كنت اقتنيتها سالفا أو كانت هدية من بعض الأصدقاء.

في هذه الفترة بالذات ولكسر الملل، يحتاج الواحد منا إلى القراءة لدورها الهام في تغيير المفاهيم السلبية، والبحث عن نوافذ أخرى لنطل من خلالها على مساحات أوسع من المعرفة، وتعزيز حضوره وجدانيا، مما يجعله يخرج من حيزه الضيق إلى عوالم أرحب تتجدد مع القراءة التي تقربه من ذاته وممن حوله. ويبقى الاختيار الصحيح عاملا مهما لتحصل المتعة مع الخيال والإبداع والسفر مع الحروف. ليس هذا فقط، بل الحجر الصحي مناسبة لكي نبحث عن كتب تستهوينا وتروي شغفنا، فنتجاوز بذلك، ولو لساعات، واقعا مليئا بأخبار ومستجدات محزنة، إلى واقع يحقق المتعة ويشعرنا بالسعادة.

قد تعتبر القراءة أيضا سلاحا لمحاربة الخوف من الفيروس المركب والمتوحش "كورونا"، فما تمر به الإنسانية اليوم أزمة حقيقية، لكن الإنسان يستطيع بإرادته تحويل الأزمات إلى منافع، والقراءة إحداها، شريطة أن تكون في مواضيع مختلفة باستثناء الأمراض والفواجع، اللهم إذا كان نصا أدبيا إبداعيا، حتى يتمكن من التخفيف من حدة الشعور بالأزمة.

أخيرا أقول إن القراءة في هذه الظروف ترفع الروح المعنوية، هي الشمس التي تطرد كل أشكال الظلام من خلال كتب جميلة لا تقتل الوقت فحسب، وإنما تجعل له إيقاعا جميلا. معها تتبدل الحياة باعتبارها محطة لنشر السعادة والشعور بالرضا وبث الطمأنينة في النفوس، وكذا رفع المعنويات بصورة كبيرة.

القراءة في زمن الحجر: تحرر وإدراك لحقيقة المعرفة

◆ ذ. حميد المصباحي

* روائي وباحث في قضايا المعرفة والفلسفة

قال ماركس: " ليست الحرية اختيارا مفتوحا، لكنها إدراك للضرورة. "

قد نشعر بأن الواجب يفرض سلوكا، فنأتيه طوعا و نشعر أننا احرار، لكن السلوكات فيها اختلافات، في الدرجة والنوع، والدرجات تفرض تشابه الافعال، لكن ظروفا ما، تجعل ملاحيتها متفاوتة، فالجائع ساعة، ليس كالجائع يوما، أما اختلاف النوع، ففيه فروقات شتى. قراءة كتاب، هي رغبة في المعرفة، لكنها محكومة بحجر، هو إكراه كمكوث في البيت، وتكسير لعادات التنقل، للشغل، وحتى الترفيه، وهذه نفسها ليست حرية مطلقة، بل هي امتثال لسلطة اليومي، هكذا وجدتُ نفسي منهمكا في القراءة، في مجالات بعيدة عن تخصصي وحتى ميولاتي، أي الاقتصاد، وما ظهر فيه من مقاربات خصوصا السياسات العمومية، وما تفرضه من رهانات من قبيل السعادة العامة كحق للمواطن، وسلامته الجسدية والنفسية، وكما نلاحظ، ارتباط الموضوع بما نعيشه حاليا، في ظل الجائحة التي تهدد بلدنا وتهدد العالم. بذلك، تكون القراءة تحررا وإدراكا لحقيقة المعرفة، باعتبارها اختيارا وضرورة في الوقت نفسه، بها تعلمت كيف أوسع مداركي وأعد وقتا خاصا للقراءة كما نفعل جميعا افتراضا وواقعا.

زمن الحجر الصحي: الكتابة كنافذة إغاثة من حرائق السؤال..

◆ نوال شريف

* كاتبة ومختصة في مجال التنشيط الثقافي

لا أحد منا كان على استعداد لخوض غمار هذا الحدث الروائي الكوني الذي شمل قصة عالم بأسره، رواية استثنائية جعلت كل واحد منا بدون استثناء يعيش أحداثها بشكل حسي، ملموس. كما لا يمكننا القفز إلى آخر صفحة لكن يمكننا أن ننسج بعض النهايات المتفائلة.

لابد وأن نعطي لأرواحنا جرعة أمل في العودة إلى حركة الحياة السابقة لكن بتدبير معقلن وبحكمة أكثر.

يحزنني أن الكثير من القلوب حول العالم قد احترقت بعد فقدانها لأحبائها، كما يربكني الخوف الذي أرمقه في عيون أفراد الأسرة كل صباح. لكن مع ذلك احاول أن انظر إلى الجانب الآخر من الحدث.

حتى بالألم هناك اشراقة لذة، وفي الظلام بداية للضوء، وفي الغروب استيقاظ لعيون كائنات ليلية تساهم في الحفاظ على سيرورتنا، انهم جنود خفاء الحياة، ليست كل عتمة موتا، والموت توأم الحياة، لابد لنا وأن نؤمن باستمرارنا أكثر من أي وقت مضى، "ينتهي العالم ولا ننتهي" بروح شوبنهاورية.

بالنسبة لي كباقي القلقين الذين يتجهون للكتابة كنافذة إغاثة من حرائق السؤال والفهم، قد وفرت لنفسي على ما يبدو بعض الحماية من الإصابة بهذا الوباء وذلك بالتزامي بشروط الحجر الصحي بغرفتي. يوم بعد يوم بدأت أنسلخ من جلدتي القديمة، كما شرعت مطرقة عقلي في التضخم، عند الفجر أحمل مطرقتي كحداد وأشرع في تهشيم أجساد المفاهيم القديمة، لأسهر طول الليل في محاولة إعادة تركيبها وترميمها، لم يعد البيت الآن نفسه البيت الذي كان بالأمس، قد اصبح أكثر رحابة من فكرة الراحة والحماية والنوم، بل صار مصنعا للأفكار ومختبرا للتجارب الأدبية والفلسفية بعد مزج مكونات الفهم واللافهم، ويبقى عدد الانفجارات لا يحصى... قرأت جل الكتب التي أتوفر عليها بمكتبتي، كما استعنت ببعض الكتب على صيغة الpdf .

لقد علمني زمن الحجر درسا مهما لم اكن ادركه من قبل، إنه إعادة النظر في اختيارنا للكتب، لأتيقن في الأخير أن المعرفة ليست في الكم وإنما في الكيف .

القراءة في زمن الحجر: السفر إلى مدن من ورق وحبر وكلمات...

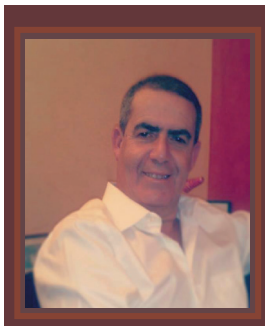

◆ ذ. عبد السلام مرون

* شاعر وفاعل مدني

في زمن الشدائد، مثلما يحدث الآن في بلادنا وفي بقاع الدنيا من تفشّي الفايروس القاتل المُسمَّى كورونا والذي أَطْبق سلطته وبسَط حكمه على جميع سكان الأرض مترصّداً ومستهدفاً حياة كل واحد منا، كان لا بدَّ أن نمْتثل - نحن الذين نحب الحياة مهما استطعنا إليها سبيلا - لشروط وقوانين الحجر الصحي لكي نحميَ حياتنا وننجوَ بذواتنا دون خسائرممكنة ..

في هذا السياق، وبالنسبة لي على الأقل أطرح السؤال التالي: كيف السبيل لكي أنتصرَ لرتابة وقتي الفائض بما يتبع ذلك حاجتي إلى تأمين هواجسي وتلطيف مزاجي والحيلولة دون أن تتصدّع بعضٌ من أركان نفسيتي لما قد ينتج عن زمن كورونا الدخيل على السير الطبيعي لحياتي من آثارسلبية محتملة غير محمودة العواقب وأنا مُحجَّرٌ ببيتي بين الجدران؟ وكيف لي أن أحتفظ بطاقتي الإيجابية وأزيد من نسبة سيولتها تحت تهديد ورعب كورونا الفاضح القاسي..؟ إن أجمل شيء يمكنني القيام به - استثماراً لبعض ما أشرت إليه وتعويضاً لي عن رغباتي الكثيرة الأخرى - أن أنزل إلى " مدينة الكلمات " بتعبير الكاتب الشهيرألبيرتو مانغويل لأسْرحَ بين أزقتها الحلزونية ورائحة بهارات دروبها المديدة وبعضٍ من سُكون حاراتها المعتَّمة لأتحوّل إلى قارىء نَهِم يحب أن يتفرَّس في سُحنات وأرواح شخوصها وهي تُطل على العالم حروفاً وجملاً ومعاني عليَّ - وأنا قارئها - أن أخمش في حيثياتها وطلاسمها كلما عنَّتْ لي أكَمةٌ ما لأتجاوزها إلى أفق أنتظار جديد ثم إلى مفاجآت وكُوات كثيرة من مفاصل " مدينة الكلمات " ..

هكذا تكون جائحة كورونا قد فرضت عليَّ قانونها المفاجئ لأجد نفسي بالضرورة منضبطاً إلى مستقر واحد ثابت في معالمه.. إنه البيت ممَّا يسمح لي بأن ألوذ بسفر روحي مختلف عبر الآفاق الفسيحة وعبر عوالم ومدن من ورق وحبر وكلمات وحيوات كثيرة.. إنها باختصار شديد، القراءة كبلسم حقيقي في زمن كورونا ضداً عليها وإنهاكاً لشراستها الظالمة..

والسؤال الأجمل رغم سخريته على الأقل في حالتي، باستلهام من لغة السياحة: لَوْ لم تكن " كورونا " بما فرضته عليَّ من حجرمنزلي/ صحي، هل هناك مَن كان سيُرشِدني إلى وِجْهات سفرٍ بعينها ؟ أي إلى قرى ومدنٍ لكلماتٍ وحدائقَ من عبَقِ حروفٍ وأشعار، كنت إلى زمن بعيد - قريبٍ واحداً من روادها / قرائها المحبين المخلصين ؟

الجواب بالتأكيد لا، لأسباب كثيرة منها انشغالاتي الحياتية وأنشطتي المدنية الأخرى وتَوْقي اليومي إلى الاطلاع على ما يُستجدُّ من منشورات وسُرود كثيرة في مجال الرواية والقَصص القصيرة جدا.. وكذا في باب المُتون الشعرية لشعراء جُدد وبنفَس مُستحدث ناهينا عن وسائط أخرى للقراءة والتثقيف والمعرفة فيما بات يُعرف بمواقع التواصل الإلكتروني من زوايا وجرائد متنوعة بالإضافة إلى محطات التواصل الافتراضي..

إلى هنا، وبسبب هذه " المصيبة " العظيمة أوهذه " الجُلاخة "، لم يكن وارداً أن أزور قُرايَ الجميلة التي طالما شدّني الحنين إليها، بَلَهَ أن أظفر بالوصول إليها وأُقبّل تراب أغلفتها وأعانق من جديد حِبْرَ ورقها الضّاج بالأحداث العميقة لساعات طوال وهي تتلألأ وتترقرق كلماتٍ وأشعارا وقضايا..

إن أخطر شيء ممكن، هو أن تشكر عدوَّكَ وأنت ضحية إساءته لك، بل هو من يترصّدك ليُجْهز عليك .. يا لفظاعة هذه "المتلازمة "..

ويا لقساوة هذا "السَّانْدروم" البَشع ، كأنهُ شبيهُ متلازمة " ستوكهولم الشهيرة " .. ومع ذلك .. ومهما كانت الإساءة قاسية ضدًّا على حياة الإنسان من طرف هذا الوباء، فإن على هذا الإنسان نفسه أن يُبدع أساليب أذكى لكي يقتل هذا العدو بدل أن يكون هو المقتول والضحية.. وأجمل الأساليب أن نجعل من القراءة وظلّها المتمثل في الكتابة - زمن الحجر الصحي - طقساً يومياً وسلاحا قوياً من أجل أن نحيا ونستمر..

عزلتي في شرفة محراب مكتبتي

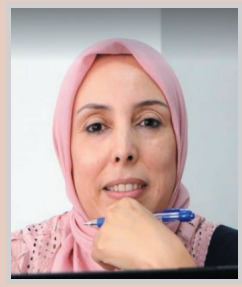

◆ دة. سميرة مصلوحي

* أستاذة باحثة في اللسانيات وتحليل الخطاب

..."اقرئي... لتحيي"، هذه المقولة في تصدير كتاب "تاريخ القراءة "لألبيرتو مانغويل جعلتني أطرح سؤالا: هل تستطيع القراءة فعلا أن تمنحنا الحياة؟ وهل الفعل القرائي قادر على تحقيق هذه المعجزة وإعطائنا فرصة ثانية لحياة أكثر أمنا بعيدا عن الرعب الذي يحاصرنا اليوم.

إن تجربتي مع القراءة في المعتزل في زمن الحجر الصحي لها طابع خاص، وأعتبرها ولادة متجددة بالنسبة لي، فعلى الرغم من المتعة التي كنا نشعر بها ونحن نمارس فعل القراءة سابقا، إلا أن الظرفية الخاصة التي نمر بها اليوم والعوامل التي تؤثثها جعلت من هذه المحنة بالنسبة لي منحة ربانية، وحوّلت الأزمة إلى منفعة وربح ذاتي؛ فالشعور بالملل والضيق والحزن نتيجة التباعد الاجتماعي، كلها أمور جعلتني أعيد النظر في كثير من الأشياء وأطرح العديد من التساؤلات من بينها: من أنا؟؟ وما موقعي في هذا العالم؟؟

هذه الأسئلة، وهذا البحث عن الذات، دفعني للتفكير في إعادة ترتيب الأولويات وتحديد هدفي من الحياة؛ الشيء الذي جعلني أواجه مخاوفي بالنظر في مرآة العالم التي تعكسها عوالم مختلفة جاد بها محرابي من شرفة مكتبتي. ومن هنا بدأت حكايتي.

كنت أتنقل بالساعات والأيام بين الكتب كنحلة عطشى لرحيق عساني أجد فيها ترياقا يعيد لي بسمة الحياة التي غادرتني ويطرد رتابة الوقت والقتامة التي عمتني. لكن سرعان ما وجدتها تحتضنني بحب وتفتح لي ذراعيها لتضمني بعناق كبير جعلني أشعر بسعادة طرت بها فرحا وحلقت عاليا في فضاء أكثر رحابة تفتحت أزهاره في حياتي وعيا ونضجا وإيمانا وحبا ففاح عطرها في سمائي. إن سفري في تجارب الكتابة وحلولي في عوالمها، منحاني فرصة لرسم خارطة طريقي، وتلمس الخطو لصياغة سؤالي الخاص والتعبير عن ذاتي. فكلما قرأت كتابا مدَّني بمفتاح سحري للدخول إلى عالم المعرفة واكتشاف سر من أسرار الكون، واكتشاف سر نفسي لأكون ما أريد أن أكون....

ومن ثم بدأت حكاية ولادتي بين تفاصيل هذا الزمن المثير: زمن الحجر المفروض علينا، حياة جديدة.... أشرقت شمسها في حضن كتاب جاد به محرابي في زمن عزلتي.

التهديد المجهري للغرور العقدي

◆ دة. فيروز فوزي

* أستاذة مهتمة بقضايا الهجرة والتواصل الثقافي- كندا

لم نكن في حاجة لحجر صحي لأننا في الواقع كنا نعيش حجرا فكريا وعاطفيا بسبب غياب الديمقراطية وحرية التعبير من جهة وبسبب حالات الإنغلاق العقدي التي تعيشها اغلب المجتمعات المصنفة "مسلمة" بصفة خاصة، كان لابد إذن من رجة نفسية قوية خلخلة للمفاهيم التي تحجب عنا رؤية العالم بصورة واضحة وواقعية، هذه الرجة لم تجئ في صورة المهدي المنتظر، بل بالعكس حلّت بنا على نحو غير منتظر ولا هي جاءت في شكل بيان تذيعه حركة ثورية جديدة، ولا هي انقلابات شعبية أو عسكرية زلزلت أركان الدول. فلا هذا ولا ذاك. الرجة أحدثتها كائنات مجهرية نسمع عنها ولا نراها بالعين المجردة، تتهيب خطرها ولا نستطيع محاربتها بكل الاساطيل والجيوش التي تملأ الارض. الرجة شلت قدرات العالم ووضعت الدول أمام تحديات وجودية تتجاوز الهلع الذي تسببه الأزمات الاقتصادية، إذ أضحت البشرية مهددة في وجودها وأضحت في سباق مع الزمن لضمان استمرار النوع البشري في الوجود على اليابسة، الشعوب من جانبها أصبحت تتحسس شبح الموت الفجائعي المرتقب في أي لحظة وحين.

إننا أمام تجربة إنسانية وجودية غير مسبوقة، كنا نعتقد دوما أن الكوارث العظيمة تهم الآخرين، وأننا في مأمن منها، محصنون بدولنا ودساتيرنا وسياداتنا واقتصادياتنا... لأول مرة يتهددنا عدو ينجح في اختراق انظمتنا الأكثر حصانة والأكثر مناعة.. لقد بات جليا أن جائحة كورونا وضعت الشعوب، كما الأنظمة جميعها، في منزلة واحدة وقربت الإنسان من فطرته المشاعية المجبولة على الخوف والتمسك بالحياة. لأول مرة يتخلى الإنسان عن جملة من الكماليات وهوامش رحبة من الحريات التي كانت قبل أسابيع تشكل عصب الحياة بالنسبة له ولا يتصور العيش بدونها.

نحن في حال من الاكتفاء بالممكن والمتاح وحال من التوجس حيال المتغيرات والمستقبل الذي صار أقل ضبابية. حال من الانتظارية المقيتة المشوبة بالخوف والحذر.

غير أن كل تجربة إنسانية مهما كانت درامية فهي تحمل في طياتها ما ظهر منها وما بطن ملامح مشرقة، إذ تجتاح الإنسان حالة من الصفاء الذهني تحمله إلى مدارج عالية من التأمل والتفكر في الذات والوجود فنصير أكثر عمقا وأكثر هشاشة في آن واحد. ننشغل للحظات بالأشياء التافهة والتفاصيل التي كنا ننشغل عنها ونحن ماخوذون بتقلبات الحياة الضاجة بالجشع والرغبة في التملك والنجاح والاثراء والحلم بالحلم بامتلاك مفاتيح الخلود.

القراءةُ في زمن الحجر: شُرْفَةٌ فسيحةٌ للإشْراف على العَالم ووسيلةٌ خارقَةٌ لِمُواجهتِه..

انْطلاقاً من مَبْدإ أنّنا نقرأُ لكيْلا نكونَ وحْدنا، تكونُ القراءةُ سلاحَنا الأنْجع لكيْ نَعْبر نَفَق الحَجْر الصِّحّي الّذي باغَتَنا وأرْبكَ ترْتيباتِنا اليوميةَ البَسيطةَ وحساباتِنا التي كنّا نعتقدُ أنّها أساسيةٌ جدا، كما أنّه أدْخلنا مُرغَمين في اعتكافٍ لطالما اشْتهاهُ بعضُنا وفي عُزلة كان مُعْظمُنا يُؤجّلها مُضْطَراً.

أخْرجتنا العُزلةُ الصّحية من دوّامة اليوْميّ الّتي عَصَفَت بالْكثير من حكْمتنا وهدوئنا وأدخلتنا في مساحة مُدهشة من السُّكون وفي مُوَاجهة نوعيّةٍ مع ذواتنا. وفي هذه المُوَاجهة اكْتشفْنا هشاشةَ الأرْض الّتي نَقِف عليها وخَواءَ الكثير من اليقين الذي أوْهمنا به صُنّاع العالمِ المُعاصر، فكانت الحاجة المُلحّة للُّجوء إلى أرْض القراءة الثّابتةِ.

للقراءةِ في هذه التجربة الإنسانية الفريدة (لجيلنا على الأقل فآباؤنا وأجدادنا عاشوا تجربةَ تفشي أوبئة في ظروف صحية واجتماعية مُغايرة) طعمٌ مختلفٌ عن كلّ القراءات السّابقة، إنْ على مستوى نوْعية الكتب التي وقعَ عليْها اختيارُنا أوّلاً (وقد لاحظتُ نفس الشيء في اختيارات الكثير من الأصدقاء والصّديقات)، وَفي طَبيعَة الأسْئلة التي نحملُها ونحن على عَتَبات هذه الكتب ثانياً، وأغلبُها مُتعلّق بخيْبتنا العميقةِ في تَماسُك وصلابةِ واقعِنا "المُعَوْلَم" ومنْ انهيارِه المُدوّي أمام جائحةٍ صحّيةٍ طارئةٍ .

وقد استَهْدف اختياري كتباً من السجلّ الكلاسيكي التي كَرسها التّاريخ وكرّس كُتّابَها ولم يأْفُل بريقُها رغم تطوُّر أدوات الكتابة ورؤاها واختلاف الحياة الاجتماعية بشكل عام فولجتْ خانةَ الخُلود.

اخترتُ منذ بداية العُزلة الصحية كتبَ: "الكوميديا الإلهية" لدانتي و"لزوم ما يلزم" "للمعري و"هكذا تكلم زرادشت" لينتشه، وهي من الكتب التي لا نكادُ ننتهي من قراءتها حتّى نحسَّ أنها ما تزال تحمل الكثير من الأسرار والكثير من الإجابات عن الأسئلة التي دخلناها ونحنُ مُحمَّلون بها..

وأجْمَلُ اكتشافٍ أُتيح لي في هذه المرحلة هو رواية "الحجلة (لعبة القفز بين المربعات)" للْكاتب الأرجنتيني خوليو كورتا ثار(لم أجد إليها سبيلا للأسف سوى النسخة الإلكترونية بترجمة لا بأس بها) وأنا مَدينة بهذا الاكتشاف لأحد الأصدقاء الذي اقترحها في تدوينة على الفيسبوك.

ما أسْعدنا بهذا الشّغف الذي حوّل سجْن العُزلة الصحية إلى أسْفار لانهائية في الزمان والمكان.

وَفي المُقابل تسْتعْصي الكتابةُ أو تكاد داخل هذه التّجربة القَاسِية والمُباغتة، فالإبداع لا يغمِس ريشته في مِحْبرة الآني والمُستعجل، بل ينتظر اخْتمارَ المشهد واستكمالَ الرُّؤيا، المجال متروكٌ الآن للبحث العلمي والدِّراسات الطبية وتحليلات علماء الاقتصاد والاجتماع ... ونحن نعبُر هذا النَّفق المجْهول يتغير العالم بعُمق وجزءٌ كبير من قَناعاتنا في طريقه إلى المُراجعة، الحقائقُ تُصاغ بطريقةٍ أخرى والمُبدع الحقيقي يحتاج إلى المسافة الكافية ليستوعبَ كلَّ هذه التغييرات ويظهَر في تجلياتٍ جديدة ويصوغَ رؤيته الخلاقة بالعُمق المطلوب.

مَا زلْنا في مرْحلة الصَّدمة، والدَّهشةُ هي طريقُ الإبداع الأُولى.

◆ ذة. فاطمة الشريكي

* شاعرة وباحثة في مجال الأدب الحديث

القراءة في زمن الحجر: حكاية حياة...!

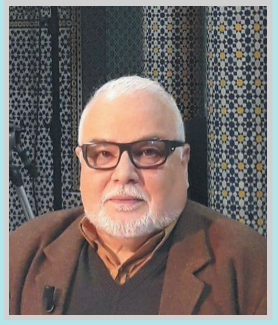

◆ ذ. عدنان الجزولي

* أستاذ جامعي- كلية علوم التربية - الرباط

هل غير زمن الحجر الصحي من عاداتي في التعاطي مع القراءة؟ وبالتالي كيف وظفت فعل القراءة في هذا الزمن الاستثنائي والخاص؟

زمن القراءة عندي موصول أو لأقل متواصل، وقد ازداد تواصلا في زمن الحجر الصحي، فعبر القراءة يتحقق لي السفر الممتع من خلال ما تيسر من التعلم والذهاب إلى عوالم اجتهد في خلقها روائيون وأدباء، وهو سفر أجد فيه متعة خاصة، لذلك اواظب على طقوسي الليلية في مجال القراءة واقضي ما يُتاح من الزمن في أجوائها بعد أن تكون الحركة قد هدأت في البيت والتحق كل واحد بفراشه. ولذلك فأنا لا أشعر أبدا بالملل، بل حينما استشعر هناك علامة على بداية ملل أو ما شابه أعود إلى كتابي بسرعة وشوق وأواصل رحلتي، وفي كل مرحلة من هذه الرحلة ازداد احتراما للكاتب ولمنتوجه الذي اخترته بعناية.

بصراحة وجدني زمن الحجر الصحي قارئا محاطا بأفراد أسرة قارئين، حيث واصلتُ ما كنت بصدده من قراءة شغوفة لرواية باللغة الفرنسية ومن الأدب العالمي، وأنا ألان ما أزال اتلذذ بقراءة رواية جديدة، وهي رواية Les Refuges للكاتب Jérôme Loubry ، رواية مشوقة تحكي عن جزيرة صغيرة جداً في أقصى الشمال الغربي لفرنسا، كانت محتلة من طرف ألمانيا النازيه اثناء الحرب العالمية الثانية. بعد نهاية الحرب سيقوم بعض الأشخاص بتحويل منشأتها العسكرية إلى مخيم يستقبل اطفالا من ضحايا تلك الحرب ليتبين أن الهدف في واقع الامر هو تحويل أولئك الأطفال إلى فئران تجارب، مما سيؤدي إلى تدهور حالتهم الصحية الجسدية والنفسية ليتم بعد ذلك رميهم جميعاً في عرض البحر. ومما يزيد من غموض اللغز أن آخر الشخصيات التي عاشت تلك الوقائع سيتم تصفيتها عبر جرعات سم قاتلة لتظل البطلة وحدها حية.

لكن ليس على نفس الجزيرة المسكونة بالرعب، بل مرمية على أحد شواطىء مدينة فرنسية صغيرة، حيث تنطلق مرحلة أخرى من الرواية انطلاقا من فقدان البطلة للذاكرة التي توقفت عند ما جرى في جزيرة لا أحد يعرف عنها أو عن وجودها حتى أي شيء.

إنه نموذج من بعض المشاعر والاحاسيس التي تتركها في نفسي كل رواية اقرأها وأسافر من خلالها إلى عوالم تجمع أحيانا بين وقائع تاريخيه وبين سرد قصصي ممتع. تجربة الحجر الصحي.

وإذا كان لا بد من الاختصار في تحديد الحديث عن العلاقة بالقراءة في زمن الحجر الصحي فإنني أقول بأنها قبل ذلك وبعده هي حكاية حياة كان فيها للعلاقة بالكتاب دور كبير في تجاوز حالات صحية ونفسية صعبة أحيانا وهو ما يصعب تلخيصه في بضعة سطور.

أبواب لم يغلقها الحجر...

◆ عائشة العلوي لمراني

* كاتبة وفاعلة جمعوية

أنتمي إلى الفئة التي تمثل حسب أعمارها ما يقارب ثلث سكان الوطن، الثلثان للشباب، في هذه المقاربة أخضع للمتداول على وسائل الإعلام، فالأرقام أصبحت لغة زمن كورونا، تلغي اللغة، تحصينا سالمين ومصابين ومتوفين، تتحكم في مؤشرات البورصة سقوطا متدحرجا للثروة، وفي الصحة صعودا لعدد التوابيت.

تتصدر الجملتان المتقابلتان ما قبل كورونا وما بعد كورونا الحوارات السياسية والاقتصادية، يعلو فيها صوت النذير ويكاد يختفي صوت البشير. وفي كل المشاهد التي تأتينا ممن لم نزود، تتصدى كتائب صحية وأمنية للوباء في أقاصي الأرض ودانيها.

عندما تحدثت عن الثلث فهو في نظر التاريخ الثلث الناجي تجاوز الستين عمرا. عاش طفولته الأولى محاصرا بالاستعمار الذي سيج الدروب وأحاطها بالعساكر المدججين بكل ما تفتقت عنه عبقرية الاستعباد، فعاش حجرا استمر ثلاثة أشهر بعد أن أعلنت المقاومة العصيان المدني، فعم الإضراب. نوع من الحجر لم يمنع الدراسة لأنها كانت سلاحا آخر من سلاح المقاومة، ولكنه أوقف حركة المدينة.

بعد الاستقلال تغيرت الأسباب والوسائل والحجر واحد، حجر طال الأجساد وآخر طال الأفكار، وثالث صادر الأحلام، قد لا تكون كل الفئة التي أشرت إليها معنية بهذا الحجر، غير أن هناك نسبة لم تهتم الإحصاءات برصدها ضمن ذلك الثلث نساء ورجالا مثقلة أدراج ذاكرتهم وذاكرتهن بتاريخ وجد طريقه إلى الإبداع، وأغفله المؤرخون.

قبل كورونا عشنا عقدين من الزمن تحت تهديد الحرب، أو جيل آخر من أجيالها، استغل التقنيات الحديثة لإسقاط أنظمة، وإضعاف دول، نثر زهورا ملغومة لربيع دجال، خلط أوراق الإيديولوجيا، وعبث بمفاهيم ا لمصطلحا ت ، وغير مسار ا لصر ا عا ت ، وباسم العولمة أصبحنا مواطنين في عالم يتحكم في ميكانيزماته رأس المال، والليبرالية ا لمتو حشة ، وأصبحت القاعدة: أنت تستهلك فأنت مواطن صالح، فإذا عجزت فالدين جاهز، والأبناك فاغرة فاها تبتلع ثمن عملك. استعمار نوعي لا يحرك جيشا ولا يقصف مدنا، ويسوقك إلى الحجر الاقتصادي صاغرا.

يوما ما ستسحب كورونا جيوشها، ترفع الراية البيضاء وتعلن الهزيمة، يطوي الزمن عصرها، تنتصر الحياة كما عودتنا منذ أن وطئت قدم الإنسان الأرض، وفي عزلتنا الإجبارية نشكر الذات الأخرى للتقنية التي تفتح لنا أبوابا سرية للقاء الأهل والأحباب صوتا وصورة، وفي دروب فضاءات التواصل الاجتماعي تنوب عنا الكلمات تصافح تعانق تكسر التباعد الاجتماعي دون خوف أو توجس.

الخُلْوَة كزَمَن حيّ

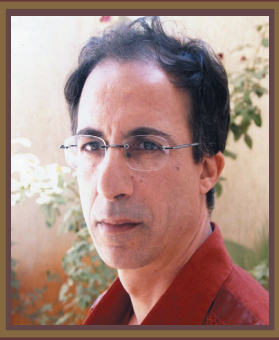

◆ بنيونس عميروش

* تشكيلي وناقد فن

تظل عزلة الحجر الصحي أمرا صعبا ومُتعبا على المستوى النفسي بخاصة، بالنسبة لمعظم الناس ولو بدرجات مُتفاوِتَة، ما يستدعي إيجاد وسائل وممارسات للتنفيس داخل البيت. بطبيعة الحال تبقى القراءة والكتابة والبحث وممارسة الفنون في حدود الإمكانيات من بين أهم المَخارج المُثْمِرَة لدى الكتاب والمبدعين عموما، لتحويل الخلوة إلى زمن حَيّ ذي مردودية وفاعِليّة في ما نصبو إليه من تحقيق الأماني الإنتاجِيَّة ولو جُزئيا، في الحين الذي نستطيع فيه تقبل الوضع وتحويله لصالحنا ضمن ما نمتلكه من طاقة ذاتية للمقاومة ضد القُنوط والزوال.

بالنسبة إلي، أعادني الرحيل الأليم للمهندس والمُنَظِّر المعماري العراقي رفعة الجادرجي (توفي جراء الوباء بالعاصمة لندن في 10 أبريل 2020) إلى عشقي الأثير بالفن المعماري، فوجدتني غاطسا في قراءة جل ما كُتِب عنه في الآونة الأخيرة، لأُدَعِّم معرفتي بطينة نادرة من المعماريين الذين تركوا أثرا جماليا وتنويريا في العمارة العربية المعاصرة مثل مُواطِنَيْه الرّاحِلَيْن محمد مكّية وزها حديد. ولطالما شدتني أفكاره ورؤاه الفلسفية والجمالية التي دَوَّنَها في عدة مُؤلَّفات، من بينها كتابه "في سببية وجدلية العمارة" (صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، 2006) الذي عدت من جديد لقراءته، الكتاب الوحيد الذي أمتلكه في مكتبتي من مجموع مؤلفاته التي تفوق العشرة. ما زلت أذكر الحبور التي انتابتني يوم اقْتَنَيْتُه من مكتبة الأمان بالرباط قبل سنوات، إذ يصعب الحصول على كتاب في أدبيات العمارة مكتوب بالعربية في أصله كما حالة الجادرجي. هذا الرجوع إلى نظرية العمارة كان لابد أن يدفعني لتجديد العلاقة أيضا مع تصورات شيخ المعماريين المصري حسن فتحي صاحب كتاب "عمارة الفقراء" (ترجمه مصطفى ابراهيم فهمي من الإنجليزية)، وهو الكتاب الذي تمكنت من الحصول على نسخته المصورة بالفرنسية بعنوان آخر "البِناء مع الشعب" Construire avec le peuple في أواخر التسعينيات بمكناس، بعدما اسْتَعرته من الصديق المعماري كمال الغديوي الذي درس المعمار بفرنسا، أحيّيه وأشكره في هذا المقام.

في كل يوم تقريبا، بعد منتصف الليل بقليل أو كثير، أُحَوِّل البوصلة إلى السينما من خلال ما تجود به شبكة الأنترنيت لأشاهد الأفلام القديمة المؤسسة للسينما المغربية: "وشمة" لحميد بناني، "ابن السبيل" لمحمد عبد الرحمان التازي، "مَنْ الواد لْهيه" لمحمد عواد، "شمس الربيع" للطيف لحلو، "الناعورة" لعبد الكريم الدرقاوي ومولاي ادريس الكتاني، "حلاق درب الفقراء" لمحمد الركاب، "أليام أليام" لأحمد المعنوني... لربما هذه الأفلام المفعمة بالنوسطالجيا، هي ما دفعني للبحث بعد مشاهدة معظمها عن المسلسل التلفزيزني الجزائري "الحريق" (إنتاج 1974) المقتبس من روايتَيْ "دار سبيطار" و"الحريق" لمحمد ديب، والممتد عبر 13 حلقة من إخراج مصطفى بديع. يتناول المسلسل (بالأبيض والاسود) فترة من فترات الاستعمار الفرنسي للجزائر (تدور الأحداث في 1939): بطولة الممثلة المقتدرة شافية بودراع في دور لالّة عيني والطفل عبد الرحمان الوطاسية في دور عمر، وقد أفلح المخرج في إدارة الممثلين، خاصة وأن معظمهم غير ممثلين في الأصل.

لذلك أتى التشخيص والحوار بنبرة واقعية وتلقائية فائِقَتَيْن. علاقتي بهذا المسلسل تعود إلى زمن كان فيه كلُّ أفراد الأسرة يتحلقون بإمعان حول شاشة التلفزيون، حيث كنا في مدينة وجدة مسقط رأسي، مُدمنين على مشاهدة القناة الجزائرية في سبعينيات القرن الماضي، وعَبْرها تَعاقَدْنا مع الأفلام الثورية. أتصور أن كل بنات وأبناء جيلي ما يزالون يتمثلون صوت وصورة اللقطة الأقوى: "عْلي.. موت واقف !". وقتذاك، كانت العواطف مشدودة إلى الشعب الجزائري بناء على الوجدان المشترك بطبيعة الحال، وباتَت بَطلة "دار سبيطار" تمارس علينا سحرها باستمرار، بأدائها القوي والعفوي للغاية وهي تكابد لتُعيل أمها العليلة والأسرة بكاملها بعد وفاة الزوج. لعلني مع لالّة عيني التي شَكَّلت صور الأمومة في أقصى مُقاوَمَتها وكفاحها من أجل البقاء، أستعيد من خلالها صور المراهقة كأصفى المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان، المرحلة التي تكون فيها حتى الأخطاء صادقة. لعلني مع "الحريق" أسترجع عنفوان الحب الأول والقبلة الأولى، وبعدهما السيجارة الأولى.

الصين.. التنين الاقتصادي القادم

◆ لحسن خطار

إن التحولات التي يعرفها التنين الصيني، ورهانات هذا البلد قبل وأثناء وبعد وباء كورونا؛ وكذا الأسئلة العميقة حول ما إذا كانت الصين فعلا نموذجا للنظام الاقتصادي الاشتراكي؛ تفرض نوعا من الإضاءة وتفكيك الجوانب المحيطة بالموضوع؛ والانتباه إلى أن من ينتظر انهيار الرأسمالية متأثرة فقط بأزماتها الداخلية، بما فيها الأزمة التي اعترضتها مع الاجتياح الكاسح لفيروس كورونا للبلدان الرأسمالية، والضعف الذي أبانت عليه تجاه هذا الوباء؛ فهو واهم؛ فعلا قد تتأزم الأمور أكثر، قد تضعف الآلة الرأسمالية، ولكن الأكيد أنها ستعيد حساباتها وتجدد تطوير أساليبها للاستغلال والفتك بالشعوب.. وهي نفس الخلاصة بالنسبة لمن يعتقد أيضا أن الاشتراكية ستعرف نهوضا كاسحا على أنقاض الرأسمالية ببساطة ميكانيكية، فهو واهم؛ وذلك نظرا لتغييب أهم عنصر في هذه المعادلة، ألا وهو ضرورة تأجيج الصراع الطبقي والعمل على قلب موازين القوى لصالح قوى التحرير والتقدم، في صراع مرير وطويل الأمد، في أفق وضع أسس بناء مجتمعات متحررة ديمقراطية واشتراكية...

إن تركيب هاته المقاربات، سيقودنا إلى إطلالة سريعة على تجربة الصين الشعبية أين هي من كل هذا؟ وهل يمكن اعتبار الصين بلدا اشتراكيا؟

أي وصف يمكن أن نصف به الاقتصاد الصيني؟ هل هو اقتصاد اشتراكي؛ أم اقتصاد رأسمالي تقدمي حسب تعبير جوزيف استيغليتز؛ أم هو اشتراكي ليبرالي، أم اقتصاد متنوع ينهل من هذه الأشكال كلها في تفاعل تناغمي؟

دولة الصين الحالية هي نتاج تحولات وتطورات فرضتها التقلبات التي شهدها العالم خلال النصف الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين؛ وهي بالأساس نتاج ثورة عظيمة قادها أحد كبار القادة السياسيين الذين تشبعوا بالفكر الاشتراكي العلمي، وعملوا على إغنائه خاصة بما جاء في الكتاب الأحمر وهو أشهر كتبه؛ حتى استطاع أن يرسم خطا له في هذا السياق وهو ما بات يعرف بالماوية؛ إنه القائد والمفكر والفيلسوف والشاعر.. ماو تسي تونغ؛ والذي قاد إحدى أكبر الثورات التي عرفها القرن العشرين (أكتوبر 1949)، في بلد متخلف آنذاك يعتمد غالبية سكانه على الزراعات البسيطة؛ بلد يئن تحت وطأة الفقر والجهل والقهر؛ وقد استطاع هذا الزعيم بعبقريته الخارقة أن يصنع من الصين، وبثورة الفلاحين دولة موحدة ومنظمة ومتحررة، متحديا كل العقبات والصعاب، بما فيها حروب شرسة مع العديد من الدول المتربصة بهذا المولود الفتي فخرج منها منتصرا؛ وبهذا يكون قد وضع الأسس الأولى لدولة اشتراكية عظمى، وأصبحت إحدى القوى العالمية المؤثرة في السياسة الدولية ورقما أساسيا في التوازنات العالمية.

ولابد هنا من التذكير بأننا كحركة اتحادية أصيلة، كثيرا ما أشدنا بهذه التجربة الرائدة، واستشهدنا بها في أدبياتنا وخطاباتنا، ولكن دون التماهي التام معها، شأنها شأن باقي التجارب الاشتراكية في دول المعسكر الاشتراكي أو غيرها، فبقدر ما كنا معتزين بها ومدافعين عنها كنا أيضا ننتقدها وتعتبر أنها ليست التطبيق الأمثل للنظرية الاشتراكية العلمية، وهي مسألة صحية خاصة أن هذا الأمر وغيره من الإشكالات كان موضع خلاف ونقاش حاد؛ خاصة حول الثورة البورجوازية، وهل يجب إعطاء هاته الأخيرة الفرصة لجني ثمارها، أم من الضرورة حرق المراحل.. وليس من الضروري انتظار تشكل الطبقة العاملة؛ وأي دور لهذه الأخيرة في النظام الذي تم ارساؤه بعد أكتوبر 1917؛ ومسألة الديمقراطية وقضايا خلافية متعددة كانت موضوع جدل بين أعتى المنظرين الاشتراكيين، وبالأساس بين لينين وروزا لوكسمبورغ من جهة وبين لينين و بليخانوف من جهة أخرى؛ لكننا لا ننكر تأثرنا الكبير على المستوى الفكري والمعنوي بما حصل ويحصل في هذه التجارب.

بعد وفاة ماو استمرت الصين؛ رغم بعض الشنآن الداخلي من حين لآخر؛ في تطوير وتجديد تجربتها تماشيا مع متقلبات العصر، وغير متماهية بشكل كامل مع تجربة المعسكر الاشتراكي، ومقاوِمةً لحصار الغرب الإمبريالي عليها ودسائسه، والتي استعمل فيها كل الوسائل الخبيثة، خاصة تركيزه على عدم احترام الصين لحقوق الإنسان، وبالأساس السياسية والمدنية، مستغلا في ذلك آلته الإعلامية الخطيرة والمتخصصة في قلب الحقائق وتأليب الرأي العام الدولي.

إلا أنه مع فشل سياسة البريسترويكا التي أتى بها غورباتشوف في الاتحاد السوفياتي (1985_1991)، وانهيار المعسكر الشرقي قبل نهاية مرحلة هذه الخطة؛ وتحطيم جدار برلين 1989؛ تسارعت الأحداث واشتد الخناق على الدول الاشتراكية، وبالأساس على الصين وكوبا (بعد تفتيت يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا أيضا). فإن كانت كوبا قد اختارت التحدي والصمود ومقاومة الحصار؛ فإن الصين قد لجأت إلى أسلوب آخر؛ وهو الذي أوصلها إلى ما هي عليه الآن؛ انتقدناها حينها وقد نستمر في انتقادها، ولكن يبقى خيارا يتحمل الحزب الشيوعي الصيني المسؤولية في مدى نجاعته وعدم خروجه على الخط الذي رسمه ماو ورفاقه في البداية.

فقد نهجت أسلوبا مغايرا لم نكن نتوقعه؛ أسلوب الانفتاح على الغرب، حيث فتحت أسواقها على مصراعيها للمنتجات الغربية وللشركات الكبرى للاستثمار داخل الصين، حيث تهافتت هذه الأخيرة على أكبر سوق بتعداد سكاني قارب المليار ونصف نسمة؛ ولكن بطبيعة الحال وفق شروط تجعل الأمور محمية من أي انفلات تتوخاه الرأسمالية الغربية؛ فجل الاستثمارات الكبرى كانت بشراكة مع الدولة أو مع أشخاص وشركات محلية مكلفة بهذه المهمة؛ وفي ظرف قياسي استطاع الاقتصاد الصيني أن يقفز قفزة نوعية ويحقق نجاحات باهرة في مجالات عدة، وغزت السلع الصينية الأسواق العالمية، وأصبحت تنافس الغرب في عقر داره وتشدد عليه الخناق في المناطق التي كان يعتبرها حكرا عليه؛ وبزغ نجم الصين على مستوى التجارة الدولية، وتفوقت على غريمها الغربي في حقول عدة، خاصة مجال التكنولوجيات الحديثة؛ وحصنت وضعها الداخلي بسلطة مركزية بيد الحزب الشيوعي وبتكوين أطر عليا وكفؤة في كل المجالات؛ مما جعل الغرب يتضايق وخاصة أمريكا من هذا المنافس غير المنتظر وغير المرغوب فيه؛ لتبدأ المناوشات ومحاولات كبح جماحه بكل الوسائل الممكنة؛ إلا أن الصين استطاعت بفطنتها ويقظة شعبها وقيادته أن تواجه كل العراقيل وان تتخطى الصعاب، بل وضعت خطة اقتصادية ومالية للهجوم، مكنتها من تأزيم الغرب الإمبريالي، وتتسبب له في أزمة مالية خانقة كادت أن تعصف باقتصاداته (الأزمة المالية ل 2008)؛ وهكذا استمر الجذب والإجراءات والإجراءات المضادة، ودخلت مع أمريكا في متاهات لا حد لها، خصوصا مع مجيء المعتوه ترامب إلى أن جاءت كورونا؛ حيث ساد الاعتقاد أن الصين ستنهار، وبرزت نظرية المؤامرة، وبأن الفيروس من صنع أمريكا لتدمير الصين؛ لكن سرعان ما انقلبت الأمور رأسا على عقب وأصبحت الشكوك معكوسة؛ لنصبح أمام واقع غير متوقع من قبل، وهو وقوف الاقتصاد الغربي على حافة الانهيار مع تضرر اقتصاديات دول الجنوب، وصمود عالٍ إلى حد الآن لاقتصادات الصين وكوبا واليابان وكوريا الجنوبية وغيرها رغم اختلاف مرجعياتها..

خلاصة القول تمثل في مستويين :

1) النظام الاقتصادي الذي نهجته الصين لمواجهة المد الإمبريالي، ليس بالضرورة نظاما اشتراكيا بالمعنى الدقيق للكلمة، ولا رأسمالية دولة كما يقال؛ بل هو خليط يعتمد الشراكة بين القطاع العام والخاص، ولكن دون أي تفريط، لأنه على المستوى السياسي هناك حارس أمين في ضبط كل الإيقاعات الاقتصادية والتجارية والمالية، ألا وهو الحزب الشيوعي الصيني؛ وبالتالي يمكن القول أنه مزيج من الاشتراكية والليبرالية المحدودة، فرضته المرحلة ومتحكَّمٌ فيه، وقد يتم تغييره في أي لحظة.

2) الصين ليس في مصلحتها الاقتصادية حاليا أن ينهار الاقتصاد الغربي بشكل نهائي، بل يهمها أن يصبح أضعف مما هو عليه الآن، لأنه سيكون سوقا واسعة لترويج منتجاتها والتحكم فيها، وتوسيع استثماراتها إلى البلدان التي كان هذا الغرب يتحكم فيها وينهب خيراتها الطبيعية ويستفيد من كفاءاتها البشرية و يستغل يدها العاملة.

نهاية لابد من الإشارة إلى أن الصراع مستقبلا سيحتد بين قوتين كبيرتين الصين وأمريكا في تراجع كبير للاتحاد الأوربي؛ حول الذكاء الاصطناعي L'intelligence artificielle، الأمر الذي سيجلب مآسي بيئية واجتماعية وإنسانية أكثر بشاعة، حيث سيصبح الإنسان مكملا فقط للآلة، مما سيرفع من حدة البطالة وبطالة حاملي الشواهد العليا بشكل أكبر؛ بما فيهم خريجو أوربا لأن التكوينات الحالية لا تتناسب مع ما يشتغل عليه هذان البلدان من جنون تكنولوجي.

وباء كورونا وحلم القطيعة مع رأسمالية الكوارث

◆ محمد امباركي

"الشيوعية ليست رؤية عن مجتمع مستقبلي، بل هي بالأحرى حركة منغرسة في الصراعات الاجتماعية في الحاضر". رونالدو منك. (كتاب: ماركسية 2020. بعد الأزمة).

إن علاقة الأوبئة بالتحولات التاريخية علاقة عضوية، حيث تحدث الكثير من الفلاسفة والمؤرخين على أن تاريخ الأوبئة هو تاريخ تحولات جذرية وتاريخ قطائع. وفي هذا السياق يقول المؤرخ النمساوي " Walter Scheidel " أن التحولات الكبرى كانت محصلة لصدمات قاسية جدا، أربعة أنماط من القطائع العنيفة كانت قادرة على الحد من أوجه اللامساواة : الحرب لما تقترن بالتعبئة الجماهيرية، الثورات، إفلاس الدول والأوبئة القاتلة " .(1).

وهكذا فالطفرات التاريخية التي شهدتها البشرية في التاريخ الحديث كانت محكومة بمنطق الانتقال الجذري من مرحلة إلى أخرى وارتبطت بالتحولات السياسية الكبرى الناتجة عن جدلية الحروب والثورات خاصة الحربين العالميتين الأولى الثانية، والثورات التي أحدثت انقلابات حقيقية في البنى والنظم التقليدية السابقة كالثورة الفرنسية (1789) والثورة البلشفية (1917) والثورة الثقافية بالصين (1949)...الخ، وصولا الى ما سمي بالربيع العربي الذي ظل يراوح مكانه في مقاومة ثورات مضادة تحالفت فيها قوى الداخل والخارج لإجهاض أي تطلع ديمقراطي للشعوب العربية الرازحة تحت نير أنظمة الاستبداد والفساد والتبعية البنيوية للمراكز الرأسمالية الغربية.

كما شهد العالم أيضا طفرات ابستيمولوجية مشهودة حيث يسجل المؤرخون والفلاسفة أن التاريخ الحديث للأفكار والوقائع شهد ثلاث ثورات فكرية أحدثت زلازلا حقيقية في العلم والاقتصاد والسياسة والمجتمع، كوبرنيك لما أثبت علميا دوران الأرض حول الشمس وبالتالي هدم إحدى أكبر أسس الفكر الديني أنداك، ثم داروين ونظرية الارتقاء والتطور حيث برهن على أن الإنسان جزء من الطبيعة وليس فوقها أو ما وراءها، ثم مدرسة التحليل النفسي مع الأب المؤسس فرويد الذي شرح تناقضات الشخصية ومكنوناتها الظاهرة والخفية. جميع هذه الثورات الابستيمولوجية نزعت عن الإنسان ألوهيته باعتباره مركزا للكون. كذلك شكلت الماركسية منعطفا تاريخيا مهما ولحظة معرفية فارقة حيث كشف ماركس عن التصور الجدلي والمادي للطبيعة والتاريخ من منطلق أن الوجود الاجتماعي هو المحدد للوعي الاجتماعي، كما قام بتشخيص وتشريح تناقضات النظام الرأسمالي وخلص الى أن الصراع الطبقي هو محرك التاريخ وتنبأ بأزمة النظام الرأسمالي وزواله وبالتالي تحولت الماركسية الى أيدولوجية تحررية ملهمة لتحرير الفكر والمجتمع من الاستلاب والاستغلال الطبقي ونقلت الفكر من المحددات الفردانية والرمزية الى العوامل المادية من خلال " التحليل الملموس للواقع الملموس".

ويعلمنا التاريخ أن الأوبئة بقدر ما كانت تكلفتها البشرية باهظة ومأساوية كالطاعون والأنفلونزا الإسبانية وإبولا والإيدز، بقدر ما شكلت فرصة حقيقية لليقظة والتمرد والثورة ضد النظم السائدة، فهل تؤشر جائحة كورونا على قطيعة تاريخية ومعرفية مع النموذج الرأسمالي في طوره الليبرالي المعولم والمتوحش الذي يخضع كل مناحي الحياة العامة لمنطق السوق والحركة المطلقة للرأسمال الاحتكاري، خاصة بعد سقوط جدار برلين وانهيار الاشتراكية المطبقة في الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية وانتقال النظام العالمي الى نظام أحادي القطبية؟

من الصعب الحسم في هذه الإشكالية المركبة على اعتبار أن دينامية الجائحة واستراتيجيات "الحرب ضدها" لا زالت مفتوحة، وبالتالي فحيوية الجائحة على مستوى الانتشار والانفلات من المراقبة والاستئصال تسجل حقائق ملموسة على الأرض حول أزمة النموذج الرأسمالي في مرحلة هيمنة الاحتكار والليبرالية المتوحشة على المستوى الاقتصادي، وصعود التيار الشعبوي إلى السلطة مجسدا في اليمين واليمين المتطرف على المستوى السياسي، في أمريكا، فرنسا، إيطاليا، المجر...في مقابل بروز الصين قبل الجائحة كقوة اقتصادية تزحف كمنافسة شرسة للمراكز الرأسمالية التقليدية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة "المعتل اجتماعيا" ترامب" كما نعته "نعوم تشومسكي"، وتعززت مشروعية الصين من خلال نجاحها في تدبير الجائحة كأول بؤرة دولية للوباء ثم اختراقها لقلب الاتحاد الأوروبي من خلال الأطر الطبية وخاصة في إيطاليا التي تخلى عنها أصدقاء الأمس، ثم استجداء القوى المعادية لها كأمريكا طمعا في خدماتها من حيث المستلزمات الطبية التي بلغت حد قرصنتها من الطائرات الناقلة لها من طرف الإدارة الأمريكية، مع العلم أن الصين نفسها أغاثت إيران وهي في أوج مقاومة نوعين من الأوبئة: جائحة كورونا وطاعون الحصار الأمريكي...

لا شك أن الأيام المقبلة ستكشف عن حقائق جديدة حول مصدر الجائحة وخضوع المصير المشترك للإنسانية لمنطق المقاولة في ظل صراع القوى الرأسمالية الذي تتم ترجمته عبر الجسم الطبي ومختبرات صنع الأدوية واللقاحات، وحتى مفارقات الأنظمة الرأسمالية في التعاطي مع الجائحة والتي تكشف حقيقتين ساطعتين كسطوع الشمس المشرقة التي لا يمكن إخفائها بالغربال الأيديولوجي لإعلام الرأسمالية.

الحقيقة الأولى

هي انهيار المنظومة الصحية من حيث خصاص الموارد البشرية وبنية الاستقبال المؤسساتية حيث حولت

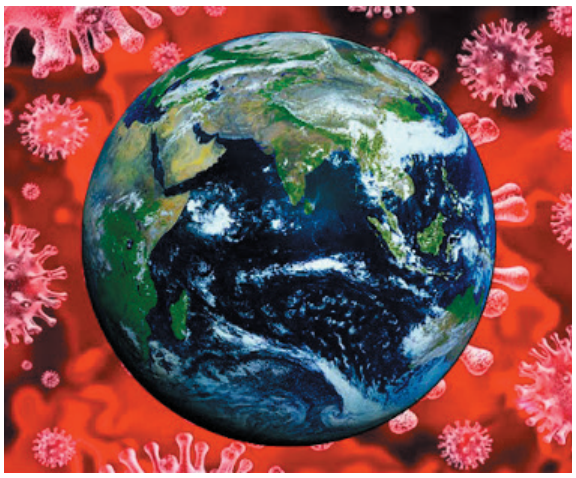

> منذ سنوات ليست بالكثيرة، كانت مجرد الإحالة الى حياة "ما بعد الرأسمالية" كافية لاعتبارك طوباويا ومنكرا للواقع أو أسوأ، ومع ذلك ثمة إدراك عميق ومنتشر اليوم بأن الرأسمالية، كما نعرفها قد صلت الى حدودها الأخيرة. وفي الواقع كان لماركس رؤية شديدة الواقعية عن الحقبة ما بعد الرأسمالية، وبالتأكيد لم يكن ميالا الى بناء قصور من هواء، بل كان بالفعل ناقدا شرسا..

السياسة الليبرالية المتوحشة وخوصصة الخدمات العمومية والمستشفى العمومي إلى شركة والمواطن الى زبون يؤدي مصاريف الاستشفاء والعلاج، وتتوقف نوعية الخدمات الصحية على إمكانياته المالية وموقعه الطبقي...فعندما يتحدث ماكرون في فرنسا عن ضرورة إعادة النظر في النموذج التنموي ويجب إعادة الاعتبار للصحة كخدمة عمومية فهو بمعنى من المعاني "متمرد "على قواه الانتخابية التي صنعت منه رئيسا (المقاولة الكبرى الخاصة والإعلام المقاولاتي)، ولما ينصح الرئيس البريطاني "شعبه" بأنه سيفقد أحبة له جراء كورونا فإنه ينتصر للإستراتيجية الانتقائية البئيسة والعنصرية "مناعة القطيع"، ثم الرئيس الأمريكي باستهتاره بخطورة الفيروس وبأرواح الناس انتصارا للمصلحة الاقتصادية للوبي المتحكم في قواعد اللعبة الرأسمالية في مواجهة الجائحة وراء الستار، من خلال نوادي ومصارف وشركات تخلت عن شعار "دعه يسير دعه يعمل" لتتبنى شعار العدوى "دعه يموت، لم يعد منتجا"....

الحقيقة الثانية

هي نهج خطة "وقائية" في مواجهة الجائحة بدء من الحجر الصحي المتأخر وغير المطبق في دول أوربية أخرى أو مطبق بشكل محدود باعتباره آلية تستجيب لمحدودية الخصاص المهول للمنظومة الصحية أكثر منه إجابة على تحولات الفيروس التاجي "كوفيد 19"...مع العلم أن أصوات "سوسيو-ديمقراطية" عديدة تعالت للتنديد بتدابير الحجر الصحي التي اعتمدتها الصين في مدينة "ووهان" الموبوءة وذلك باسم الحرية وحقوق الإنسان واتهام النظام الصيني بالديكتاتورية والتسلط..

مما لا شك فيه أن الحديث عن القطيعة المعرفية مع هيمنة "البراديغم الليبرالي" وخطاب النجاعة والتنافسية والحكامة الرشيدة، يبقى حديثا نسبيا حيث يظل حاضر الجائحة ومستقبلها من الناحية الطبية والاقتصادية السوسيوثقافية والقيمية محط مقاربات متعددة لم ترق بعد الى قراءات شاملة ومتكاملة، وهذا أمر طبيعي، وبالتالي فهي مثار نقاش متعدد داخل المجتمع الطبي وبين المفكرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع، كل واحد ينظر الى المسألة من زاوية مختلفة عن الآخر، بين من يعتبر جائحة كورونا لصيقة بطاعون الليبرالية المتوحشة (نعوم تشومسكي) أو أنها تستوجب التخلي عن العقيدة النّيوليبراليّة لغاية التوصّل إلى اتّفاق سياسيّ اجتماعيّ بيئيّ جديد (إدغار موران)، ومن يرى فيها ملامح الأفق الشيوعي كأفق لعودة الدولة الراعية والخدمات الطبية والاجتماعية (سلافو يتيتشيك)، ومن ينظر إليها باعتبارها إعلانا عن موت البارادغم التقدمي الذي كان له شأن في تبرير الهيمنة على الطبيعة وتغليب النزعة الاقتصادية (ميشال مافيزيولي). .

لكن، رغم تعدد المقاربات، فالجدير بالانتباه هو استعادة الخطاب عن الاشتراكية في بعدها الاجتماعي والإيكولوجي، لراهنيته كنظام اقتصادي وسياسي قائم على العدالة الاجتماعية حتى من داخل الأوساط الليبرالية نفسها، في ظل الإيمان الراسخ لمناهضي الرأسمالية وأنصار الفكر الماركسي بمختلف مدارسه (الاشتراكية العلمية، الايكوـاشتراكية أو الاشتراكية البيئية، النسائية، ما بعد الكولونيالية ...) بالحتمية التاريخية لاصطدام الرأسمالية كمرادف للبربرية بدورات من الأزمات والكوارث، وبالتالي فالتساؤل العريض المطروح هو : هل ستكون جائحة كورونا شاهدة على تحقق نبوءة ماركس في بداية القرن 21 والتي قال فيها "إن الرأسمالية تحفر قبرها بيدها"، وبالتالي ستشكل تلك الفأس الذي تحفر بها الرأسمالية قبرها بيديها ؟ ومن ثمة سنشهد على ميلاد نظام عالمي جديد قريب من الاشتراكية قائم على الدولة الديمقراطية الاجتماعية القوية وقيم التضامن والخدمات الاجتماعية على أنقاض رأسمالية الكوارث (2)؟ أم أن القوى الرأسمالية قادرة على علاج جراحاتها وأزماتها كما حدث سنة 2008، ولملمة قواها لتجاوز هذه الكارثة طالما أن الرأسمالية بطبيعتها و في مختلف مراحل تطورها هي رأسمالية الكوارث، رأسمالية مفترسة؟ وقد يتطلب الافتراس وتدبير الكوارث تحالفا وهدنة مع الصين والبحث عن المصلحة المشتركة على حساب بلدان المحيط التي قد تعرف التحاق دول من المركز بها بفعل تداعيات كورونا والعكس صحيح؟، وكما ورد في كتاب "ماركس 2020، بعد الأزمة"، أنه "بوسعنا اليوم توقع مجموعة كاملة من الخيارات المستندة الى الطموحات الجيوسياسية الحالية للصين، روسيا والبرازيل، والهند وأزمة الاتحاد الأوربي والنظام السياسي المنقسم في الولايات المتحدة"(3) ؟

"منذ سنوات ليست بالكثيرة، كانت مجرد الإحالة الى حياة "ما بعد الرأسمالية" كافية لاعتبارك طوباويا ومنكرا للواقع أو أسوأ. ومع ذلك ثمة إدراك عميق ومنتشر اليوم بأن الرأسمالية، كما نعرفها، تصل إلى حدودها الأخيرة (4)." وفي الواقع كان لماركس رؤية شديدة الواقعية عن الحقبة ما بعد الرأسمالية، وبالتأكيد لم يكن ميالا الى بناء قصور من هواء. بل كان بالفعل ناقدا شرسا للمفكرين الاشتراكيين من معاصريه الذين آمنوا بإمكانية فرض صورة عن المستقبل، بدلا من الإيمان بأن الاشتراكية تتمحور حول التطور العضوي للعناصر الديمقراطية داخل الرأسمالية" (5)

على أية حال، من السابق لأوانه قراءة مستقبل البشرية ما بعد الجائحة واعتبار تداعياتها وتأثيراتها القوية والشاملة لحظة للقطع الثوري مع أنظمة المتروبول الرأسمالي، طالما أن منطق القطيعة محكوم كما تؤكد الماركسية ذاتها، باحتداد التناقض الرئيسي بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، وكذلك لأن التعبيرات الطبقية والسياسية عن قوى الإنتاج المتضررة من كوارث الرأسمالية سواء كانت حروبا أو أوبئة، لازالت هامشية في المركز والمحيط معا، وغير قادرة على تجديد العدة النظرية للفكر الماركسي بشكل يتجاوز التصور النظري المجرد والرؤية "الميثولوجية" للطبقة العاملة باعتبارها الفاعل في التقدم الحتمي للتاريخ، خارج تحيين الفهم للتحولات التقنية والتكنولوجية الهائلة التي طالت عالم الشغل وعلاقات الإنتاج والطبقة العاملة نفسها، ومن ثمة توحيد جهودها وعولمة مقاومتها وبالنتيجة امتلاك القدرة النظرية والمادية على حمل الفأس وحفر قبر الرأسمالية المفترسة.

(*) الهوامش سترد بالمقال في نسخته الإلكترونية بموقع جريدة الطريق : www.attarik.net .

فكر وآراء

طريق التنوير

كورونا المغرب وسؤال المستقبل

• ذ. رشيد العلوي

كثيرة هي الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن في ظل الوضع الحالي الذي تعيشه شعوب العالم مع جائحة كوفيد 19، وكثيرة أيضا هي النقاشات التي تناسلت هنا وهناك حول مستقبل العالم. ومما لا شك فيه أن العديد من التغيرات ستحصل بعد الخروج من الكارثة، بل إن هناك من يتحدث عن نظام عالمي جديد ستفرزه الصراعات الخفية والباردة بين الصين وأمريكا.

استبقت السلطات المغربية الحدث واتخذت إجراءات غير مسبوقة في إعلان حالة الطوارئ والحجر المنزلي، كما اعتمدت سياسة تضامن اجتماعي رغم هزالتها، ويقظة طبية مدنية وعسكرية مبكرة.

بعد الإعلان عن أول حالة مصابة يوم 2 مارس تم إغلاق المدارس يوم 16 مارس، وتجندت الأطقم الطبية المدنية والعسكرية بسرعة فائقة، ومعها رجال التعليم وعمال النظافة والشرطة ورجال السلطة المحلية. شكر الجميع جنود السلام هؤلاء وأثنوا على جهدهم ويقظتهم، رغم ما سجل من عدم انضباط المواطنين للحجر المنزلي، مما دفع السلطات المحلية إلى استعمال لغة القمع والترويع ودفع الأمن القضائي إلى شن بعض الاعتقالات في صفوف الذين خرقوا الحجر المنزلي. وتبين من جديد استعادة المخزن لهيبته وتهميش دور الأحزاب السياسية وهيئات المجتمع المدني، رغم توسع دائرة الشباب والبسطاء من الأميين والمهمشين والمفقرين.

ومن الطريف أن تعمل الجماعات الدينية على تجييش مريديها لقراءة اللطيف في بعض المدن لخرق حالة الطوارئ رغم الحالة العصيبة للوباء، وهو ما سخر منه المغاربة. فقد أبانت تلك الجماعات عن تخلفها وتشبثها بالثقافة المحافظة والظلامية، فالمشكل لا يكمن في قراءة اللطيف أو التذرع إلى الله لإبعاد الجائحة ولكن قمة الإشكال في طبيعة تلك الحركات الدينية السياسية التي تستغل كل مناسبة للدعاية والتحريض لمشروع سياسي غامض، قد يذبح الوطن من الوريد إلى الوريد، علما أن حكومة الإسلاميين ساهمت خلال ولايتين متتاليتين في الإجهاز على الخدمة العمومية ودمرت المؤسسات العمومية وأغرقتها في الإفلاس. وهذا بشهادة زعمائها أنفسهم بل ويتبجحون بأنهم ماضون في سياستهم اللاشعبية واللاجتماعية لخدمة الرأسمال.

فعلى الرغم من أن المغرب في وضع مستقر نسبيا إلى حدود الأسبوع الرابع من أبريل فقد تم تجديد الحجر إلى غاية 20 ماي المقبل، فهل سينجح المغاربة في ذلك؟

الملحوظ أن الجائحة أبانت عن الواقع المتردي للخدمات العمومية وفضحت كل المزاعم السابقة حول التقدم والنمو والسير الحثيث نحو العصرنة، فلا تقدم دون حرية وديمقراطية وعقلنة التسيير والقضاء على الفساد ونظام الريع، فكل الخطابات الرنانة التي تقترب من الأطروحات الليبرالية، وهي لا تشبهها في شيء، أفاقت ذات يوم من أيام مارس 2020 وهي ترنو لحالها، أمام انهيار اختياراتها.

ليس غريبا أبدا أن يظهر الوجه الخفي للعولمة المتوحشة التي سلعت كل شيء وأرغمت مواطني العالم على الخضوع لسلطة المال ومنطق العرض والطلب، بل أنه حتى في البلدان المتقدمة انهارت الخدمات الصحية، ونحن نشاهد ما يقع في أوروبا الهرمة وأمريكا، أما عندنا في المغرب فليس غريبا أن يظهر الوجه الخفي لحكومة الإسلاميين التي تطبق بالحرف إملاءات البنك العالمي وصندوق النقد الدولي، مدافعة بشراسة عن الخوصصة وإلغاء صندوق المقاصة من أجل الاحتفاظ بالكرسي وخدمة المصالح الشخصية.. ولكن لماذا الانتظار عقدين من الزمن لتتضح صحة أطروحات مناهضي العولمة الذين خرجوا مع بداية الألفية الثالثة موجهين سهامهم للنيوليبرالية بفضح مؤامراتها؟ لم تكن القوى الاجتماعية تدرك هول الكارثة. هذا ناهيك عن القمع المسلط على تلك الحركة. واليوم يراوح اليسار العالمي رغم النقاشات الدائرة في صفوفه تلمسا لسيناريوهات المستقبل. ربما تكون هذه الأزمة مناسبة لإعادة بناء قوى النضال الاجتماعي والسياسي، بدل انتظار مقترحات الامبرياليات للخروج من الأزمة، والتي سيتوافق عليها في دوائر صنع القرار العالمي. ألم يحن الوقت لإعلان فشل المنظومة الكوكبية المبنية على الجشع والاستغلال الرأسماليين؟

يبدو أن بوادر أزمة اقتصادية تلوح في الأفق، أمام انهيار كبريات البورصات العالمية وتوقف دائرة الإنتاج وتأثيرها على أسعار النفط التي بلغت يوم 20 ابريل 0,37 دولار للبرميل الواحد وهو اقل بكثير من سعره في أزمة 1929. فغالبية الدول الرأسمالية تصارع من أجل إعادة عجلة الإنتاج إلى الدوران ولو بشكل بطيء، فالخسارة التي تتكبدها الرساميل العمومية والخاصة افضع مما يمكن تخيله. ونحن نعلم جيدا أن الرأسمالية يمكنها أن تضحي بكل شيء من أجل فائض القيمة.

أما عن وضعنا فلا مجال للحديث عنه بالنظر لضعف بنياتنا الاقتصادية والمالية، واللجوء دوما إلى الاستدانة التي كانت وستظل إلى جانب الفساد، المسؤول الأول عن الوضع الذي عرته كورونا: الوضع الاجتماعي والاقتصادي والمالي وتدهور القطاعات الاجتماعية، من صحة وتعليم أساسا، فبالأمس القريب لا أحد من القوى السياسية المشاركة في اللعبة تستطيع سن سياسة اجتماعية كفيلة بالرقي بوضع المغاربة الاجتماعي وتعليمهم وصحتهم، وفي المقابل تستنزف جيوب المواطنين عبر التعليم الخصوصي والعيادات والخدمات الطبية الخاصة، وفي نفس الوقت تظل قوى المعارضة في وضع الاستكانة لآمر الواقع، مما يقتضي خطة هجومية لاستعادة المبادرة خصوصا من طرف اليسار. فقد كان المبرر دوما هو أن هاته القطاعات غير منتجة وتبين بالملموس بطلان حجتهم. نعم نريد إنتاج الثروة بالقدر الذي نريد تقاسمها أيضا بشكل عادل. غير أن الثروة ليست بالضرورة مادية وقابلة للحساب، فالصحة والتعليم محركين لإنتاج الثروة وتقاسمها بشكل عادل. النقاش حول ما بعد كورونا في مغربنا غائب كليا، ونترقب ما تجيد به مؤسسات صنع القرار الامبريالي، في حين أن الأزمة الراهنة ستفرز تحالفات دولية وإقليمية، جديدة وربما ستظهر التنافسية بين أمريكا والصين توازنات جديدة أو ستلجأ إلى الحرب الخفية لتصفية الحسابات ولإعادة تقسيم العالم. فهل سنكون في مستوى رهان التحدي المقبل؟

الفايد والسباحة خارج رقعة العلم

• عبد الله المستعين

في سياق كوني محموم يحكمه زمن وباء كورونا المستجد، والذي أفضى إلى النقاش حول أزمنة ما قبل كورونا وما بعدها، وضمن هذا المخاض العنيف كونيا ومحليا لا ينكر أحد راهنية العلم بل وسيادته، كونه المراهَن عليه للخروج من عنق زجاجة الأزمة، إلا أنه في المقابل نجد داخل سياقنا المغربي أحكاما وإدعاءات تمتح من رأسمال تقليداني مركب تتكثف مضامينه بالأسطوري المتداخل بالديني والسحري، إدعاءات تشرعن وجودها تحت غطاء "العلمية" مما جعل لها في صورة من صور الولاء الأعمى أنصاراً ومدافعين وتابعين، ولعل من النماذج التي أثارت كثيرا من السجال نجد المسمى "الدكتور الفايد" الذي رغم تكاثف الانتقادات والتشكيكات الموجهة صوب إدعاءاته، لازال مدافعا عن أوهامه مقدما إياها في صور وعباءات خلاصية.

ان المتابع/ة ولو في الحدود الدنيا للحقل العلمي، والناظر/ة لمفهوم العلم ذاته، وللشروط الابستيمولوجية التي تسمح بالحديث عن كون معطى ما يتصف بصفة العلمية، سيعرف بأن من أولى سمات الباحث/ة في أي حقل علمي (سواء في العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية) هو إقامة المسافة الموضوعية بين الذات (الأحكام، القناعات، المعتقدات...) وموضوع البحث، مع إخضاع هذا الأخير للتجربة عبر التوسل بالمنهج العلمي لتفسيره وإبراز القوانين المتحكمة فيه، إلا أن صاحبنا الفايد يعالج مواضيعه ويحاجج حول صدقيتها -خصوصا المتصلة بالعلاج بالصوم واستهلاك فضلات الجمل- استنادا إلى النص الديني الذي هو موضوع للاعتقاد والإيمان وليس بمعيار علمي بدون السماح ببيان صدق الموضوع، والتجربة على صدقه من كذبه، مراهنا في ذلك على شيء من والإثارة العاطفية التي قد تحكم المتلقي لادعاءاته، خصوصا إذا كانت مغلفة بغلاف المقدس.

من جهة أخرى تبرز حركية الفايد خارج رقعة العلم من طبيعة مضامين ردوده على الانتقادات التي وجهت له، نلمس هنا بأننا بصدد ردود موسومة بالوثوقية والأحكام المسبقة، بل والأخطر من كل هذا هو استنادها على نفحة من نفحات نظرية المؤامرة معتبرا إياها هجوما على التراث العربي الإسلامي بل على الإسلام برمته، وذلك ما دام هو مصدر مشروعيته، هذه الواقعة تحيلني على التمييز الذي أقامه المفكر الماركسي اللبناني المهدي عامل في نقده لمنزلة ماركس في استشراق إدوارد سعيد بين "منطق التماثل" و"منطق التناقض"، إذ أن منطق التماثل الذي استند إليه إدوارد سعيد دفعه إلى النظر لانتاجات السياق الغربي خلال القرنين 18 و19 م في نظرتها للشرق كونها ذات مضمون استشراقي برهان استعماري بما ذلك إنتاجات ماركس نفسها، نفس هذا المنطق مع اختلاف في السياق والمضامين يحكم صاحبنا الفايد كون أن أي انتقاد موجه لإدعاءاته تتخندق في خندق العلمانية (حسب التأويل الإسلاموي المقلوب) والزندقة والإلحاد...وهذا المعطى يسدل الستار عن شيء آخر وأهم هو أن الفايد يحول العلم إلى وسيلة وآلية لتمرير وتسريب نسق إيديولوجي تقليداني يمتح من الديني والأسطوري والسحري، وذلك ضمن تركيب هجين معلنا حربا باردة في مواجهة قيم العقلانية والتنوير.

في خضم كل هذا وأكثر، يمكن القول على أن إدعاءات الفايد تشكل في ذاتها نسقا إيديولوجيا غير محايد خارج رقعة العلم، وإن كان هذا الأخير بات يشكل آلية لشرعنة هذه الإدعاءات، نسق يصارع وينافح من أجل تسييد منطقيات التفكير الأسطوري والخرافي واللاهوتي، إننا بصدد حرب باردة مختلفة صورها وأشكالها ضد أي تحول ممكن وقائم على قيم العقلانية والتنوير، خصوصا وأن امتداد وباء كورونا يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن السيادة راهنا ومستقبلا هي للعلم ولمجتمع المعرفة وليس لـ"ثقافة الجاوي والبخور".

الصراع من أجل الاعتراف

Emmanuel Renault; Sciences, revue Magazine humaines

• ترجمة: عبد الكريم وشاشا

سواء تعلق الأمر بالتطرق لحالات التمييز أو عدم الاستقرار أو المعاناة في العمل، فمفهوم الاعتراف ينطوي على خصوبة كبيرة بالنسبة للعلوم الإنسانية، والقيمة التي يعطيها كل شخص إلى نفسه تعتمد أساسا على نظرة الآخرين، لذلك فإن تجربة الظلم الاجتماعي هي دائما تجربة الاحتقار (أو عدم الاحترام).

ومصطلح "الاعتراف" لا ينتمي إلى المعجم السياسي التقليدي ولا إلى المفردات الكلاسيكية للعلوم الإنسانية؛ ومع ذلك فرض نفسه مؤخرا كموضوع انشغال وهمٍّ جماعي مثلما هو الحال في النظريات الفلسفية والسوسيولوجيا والنفس- اجتماعية.

وفي مجال العمل والإقصاء على وجه الخصوص، تسمح نظرية الاعتراف بتولي وتحمل مسؤولية المشاكل السياسية والاجتماعية الأساسية.

لنلاحظ منذ البداية، بأن المناظرات السياسية المختلفة اليوم تضع موضوع الاعتراف على المحك: الاعتراف بالإبادات الجماعية والتورط في فترات مظلمة في الاستعباد والاستعمار، ثم تلك القيود على الحريات والحقوق الفردية...بالإضافة إلى ذلك، ظهرت صراعات اجتماعية تطالب بالاعتراف أكثر مما تطالب بالحقوق والزيادة في الأجور.

فقضية "الاحتقار" ومطالب "الاحترام" المرتبطة بالفئات الشعبية ذات الدخل المنخفض من الواضح أنها تندرج في إشكالية الاعتراف.. وأخيرا النضالات للدفاع أو حماية الهويات الجماعية الثقافية أو اللغوية الإقليمية وللأقليات والحفاظ عليها، يتم تقديمها أحيانا كصراع من أجل الاعتراف.

من خلال هذه الموضوعات المختلفة ذات الاهتمام الجماعي، من الواضح أن مصطلح الاعتراف لا يتم استعماله دائما بنفس المعنى، في بعض الحالات يعني "يعترف" الإقرار بأن شيئا ما حدث، وفي حالات أخرى يعترف بشرعية المطالب أو بعدم شرعيتها. وفي حالات أخرى أيضا يحيل مصطلح الاعتراف إلى الصورة الإيجابية أو السلبية لدَى الآخرين... وأخيرا، يمكن القول، الأمر لا يتعلق فقط بقيمة الكائن أو أفعال الفرد، وإنما بهذه الكيانات الجماعية التي هي الثقافات واللغات، والأديان، والعادات، وكل الاستخدامات الاجتماعية...الخ

يستقبل ويحظى مصطلح "الاعتراف" بمعاني مختلفة جدا، وهذا في حد ذاته، واحد من التفسيرات لقوته، وكونه مفهوم يوحي ويشير إلى أكبر عدد ممكن من المشاكل والقضايا الحارقة، فإن هذا يضفي عليه شرعية مؤثرة في استعماله. إن التداول الاجتماعي للمدلول عبر مختلف المواضيع التي تستأثر بالاهتمامات الجماعية يمكنه أن يساهم في إقناع بأن سؤال الاعتراف يشير إلى مشكلة سياسية تستحق الاهتمام.

دعونا ننتقل الآن إلى العلوم الإنسانية،

Emmanuel Renault

فلطالما كان مفهوم الاعتراف موضوعا أوليويا للمعاني التي تم ذكرها.. ففي الفلسفة ظل جورج فيلهلم فريدريش هيغل (1770 - 1831) مشهورا على الخصوص بفصل في كتابه الشهير "فينومينولوجيا الروح" (الصادر سنة 1807) متناولا الصراع الدائر بين شخصين من أجل أن يعترف كل واحد منهما بحرية الآخر، ونحن نعلم بأنهما ينخرطان بهذه الطريقة في صراع مميت يؤدي إلى تأسيس هيمنة السيد على العبد. في هذا السياق تشير مفردة الاعتراف بشكل رئيسي إلى أن معرفتي لقيمتي الخاصة غير مستقلة عن الآخرين.

إن هذا الفصل الشهير خضع لتأويلات عديدة، أشهرها تحليل ألكسندر كوجيف، فبقدر ما هو مثير للاهتمام بقدر ما هو تحليل تعسفي، معتبرا أن هذه الجدلية "جدلية السيد والعبد" مفتاح للفلسفة الهيغلية.

في علم الاجتماع أيضا، يمكن تعبئة مفهوم الاعتراف كمحرك بطرق مختلفة، مثلما اعتبر بيير بورديو أن الصراع بين المجموعات الاجتماعية هو صراع من أجل الاعتراف وهي مواجهات رمزية تهدف وتسعى إلى فرض رؤيتها للعالم على المجتمع ككل من أجل تحسين مكانتها داخله. ومع ذلك فإن العلوم الإنسانية لم تعط لمسألة الاعتراف هذه الأبعاد الواسعة إلا في الآونة الأخيرة، فهي لم تعد تقتصر على المفهوم فقط، بل على بناء نظريات حقيقية للاعتراف.

مقاربة من بين المقاربات الحديثة التي تستحق أن تذكر بشكل خاص في هذا الصدد: مقاربة تشارلز مارغريف تيلور- فيلسوف كندي الذي ينخرط في إطار دينامية تفكيرية فلسفية تهم الروابط بين العدالة والهوية، التي تتميز به التجارب السياسية الكندية، وخاصة تلك التي تتعلق بامتدادات مشروع مدرسة فرانكفورت الذي يمثله أكسيل هونيث والذي لا ينفصل فلسفيا واجتماعيا عن النظرية النقدية للمجتمع.

كما يسجل تايلور أن كل الثقافة السياسية الحديثة تدور حول شرط الاعتراف المتبادل، بينما المجتمع الفيودالي يتسم بتراتبية هرمية تمنح للفرد الامتياز حسب ولادته. فالمبادئ الأساسية التي تعود أصولها إلى الثورات الفرنسية والأمريكية تؤكد على الكرامة المتساوية بين الناس، والسؤال كله يدور حول أين توجد هذه الكرامة المتساوية، هل يتعلق الأمر فقط، بمجموع الحقوق المتعارف عليها عالميا المرتبطة بممارسة الحرية الفردية، كما توحي بذلك النصوص الدستورية الفرنسية والانجليزية، ومثل ما يزال يدافع عنها اليوم كل من يندرج في التقاليد الليبرالية السياسية ؟؟

أو هل يجب علينا أن نقبل أيضا أن للأفراد كامل الحق في الاعتراف بالكرامة ما يجعلهم مختلفين بعضهم عن بعض، نظرا لِأن الضمانات القانونية للحريات يمكن لها أن تفقد كل معنى إذا كانت القيم المؤسسة متضمنة في ثقافات ولغات وعادات لا يتم الاعتراف بها ؟؟

وفقا لتايلور، ينبغي الاحتفاظ بالخيار الثاني، لأن ازدراء الاختلاف الثقافي ينتج أشكالا من القمع لا تقل خطورة عن الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. لذلك حسب رأيه يجب قبول شرعية مبدأ الاعتراف بالاختلاف؛ ولكن هذا لا يعني في الواقع، كل اعتراف بالاختلاف هو مشروع، شريطة أن يكون متوافقا مع مقتضيات واشتراطات الاعتراف الكوني للكرامة.. وبهذا المعنى يمكن لتايلور أن يكتب أن "سياسات الاختلاف تمتد وتزداد عضويا انطلاقا من سياسات الكرامة".....

النساء في زمن الوباء

منذ بدأ انتشار فيروس كورونا المستجد Covid-19 في أرجاء العالم وتصنيفه كوباء عالمي، كانت جل الإحصائيات الدولية تشير إلى أن نسب المصابين بين الرجال والنساء متساوية تقريبا في العالم بأسره. وهو ما أكدته دراسة أجراها المركز الصيني لمكافحة الأمراض والوقاية منها، والتي نشرت شهر فبراير من العام الجاري، مما يعني أن الفيروس لا يفرق بين رجل وامرأة، والاثنان لديهما نفس الاحتمالية لالتقاط العدوى. لكن تداعيات هذه الأزمة الصحية العالمية أظهرت أنه يمكن أن يكون للفيروس تأثير مختلف على المرأة والرجل كل على حدة.

◆ زهراء الجوهري

النساء في الصفوف الأمامية لمواجهة الفيروس:

بحكم ارتفاع نسب دخول النساء إلى سوق الشغل عبر العالم وتحديدا في مجال الصحة والرعاية الاجتماعية، أصبحت تشكل المرأة أزيد من 70٪ من نسبة الأخصائيين الصحيين والإجتماعيين حول العالم مما يضعهن في جبهة القتال ومواجهة الوباء، مع العلم أن نصف مساهمة المرأة في الصحة العالمية تأتي على شكل مساعدة غير مدفوعة الأجر تصل إلى 3 مليار دولار أمريكي كل سنة حسب منظمة الصحة العالمية. وليس هذا فقط بل والأكثر من ذلك أن الفترة الوبائية يمكن أن تكون سببا في عدم تمكن النساء من الحصول على الرعاية الصحية والعلاج الطبي اللازم. ففي حين توجه فيه النظم الصحية اهتماماتها وطاقاتها نحو مواجهة الوباء، غالبا ما يتم تجاهل خدمات ومستلزمات الصحة الجنسية والإنجابية للنساء. هذا بالإضافة إلى التأثير السلبي الذي يطال النساء الحوامل اللواتي تحتجن للرعاية الصحية والمتابعة الطبية بانتظام، وبالخصوص في الظرفية الحالية نظرا لغياب المعطيات الكافية لتقييم مدى حساسية النساء الحوامل تجاه الفيروس، أو مدى تأثيره عليهن، علما أن المرأة تخضع لتغيرات فيزيولوجية ومناعية خلال فترة الحمل، مما قد يجعلها أكثر حساسية و عرضة للمضاعفات الفيروسية للجهاز التنفسي، كما هو الحال بالنسبة للإنفلوانزا أو السعال الديكي، وهما مرضان يجب على النساء الحوامل التطعيم ضدهما، وبتتبع النوبات السابقة من عدوى الفيروس التاجي سارس التي حدثت سنة 2003، فقد أظهرت الدراسات أن النساء اللواتي التقطن عدوى فيروس سارس خلال فترة الحمل زادت عندهن مخاطر الولادة المبكرة أو مخاطر الإجهاض أو وفيات الأجنة. كما أن الحمى التي يتسبب بها الفيروس للمريضة أثناء الثلث الأول من الحمل تزيد من خطر التشوهات لدى الجنين.

لذلك فمن الواجب التأكد والحرص على أن تتلقى جميع النساء الرعاية الصحية الجيدة والكافية خصوصا في حالات الاشتباه أو تأكيد الإصابة بفيروس كورونا.

وقد أصدر صندوق الأمم المتحدة للسكان UNFPA مذكرة تفسيرية وضح فيها أن الوباء ليس له نفس التأثير على كلا الجنسين، إذ أن الفترة الوبائية تزيد من تفاقم التفاوتات المبنية على أساس النوع وتزيد من حدتها.

الحجر الصحي، خطر أم وسيلة وقائية؟

بعد تقييد الحركة وفرض تدابير الحجر المنزلي في العديد من الدول وفرض قوانين زجرية لمعاقبة كل من يخرق التعليمات، ظهرت بعض الفئات هنا وهناك تصفق لتقلص نسب التحرش الجنسي خلال هذه الفترة، بينما تناسى الجميع أن التحرش ليس أسلوب العنف الوحيد الذي يمارس على المرأة. ففي الآونة الأخيرة ظهرت موجات تنمر وتهكم على المرأة عن طريق نكات وفيديوهات.. يتداولها نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي للسخرية من النساء خلال فترة الحجر من قبيل "أنقذوني.. ثرثرة زوجتي ستقتلني" أو "لم أعد قادرا على تحمل زوجتي"، وهي سخرية بدأت تأخذ طابعا عنصريا مبنيا على التمييز على أساس النوع والجنس، فالأمر ليس بالبساطة التي قد تبدو عليها، لأن هذه السخرية تعمل على بلورة وعي جمعي متقبل لرفض الآخر والتنقيص منه، بل ولتبرير قمعها وتعنيفها أيضا.

و في هذا الصدد دقت الأمم المتحدة ناقوس الخطر في الخامس من الشهر الجاري حيث أطلق الأمين العام للأمم المتحدة نداء جديدا للسلام حول العالم، داخل المنازل هذه المرة، داعيا جميع الحكومات إلى الحرص على سلامة المرأة و محاربة العنف الممارس عليها وجبر الضرر الواقع جراءه، واعتبار محاربة هذا العنف جزءا رئيسيا من خططها الوطنية للتصدي لوباء كورونا. لأن المنزل لم يعد يعتبر المكان الآمن للاحتماء فيه من مخاطر المرحلة بالنسبة للعديد من النساء اللواتي وجدن أنفسهن حبيسات مع معنفيهن على مدار اليوم، ومحرومات من إمكانية الفرار أو طلب المساعدة من طرف الأسرة أو من طرف منظمات وجمعيات حقوق النساء أو مراكز الاستماع أو خلايا العنف التابعة للشرطة بسبب إجراءات الحجر. مما أدى إلى ارتفاع مهول للعنف المنزلي في العديد من الدول؛ حيث سجلت المملكة المتحدة ارتفاعا بنسبة 25٪ من خلال تقارير و مكالمات الإبلاغ عن العنف المنزلي، كما سجلت إسبانيا ارتفاعا بنسبة 16٪ و 20٪ في تكساس و 40٪ إلى 50٪ بالبرازيل. أما في تونس فقد صرحت وزيرة النساء و الأطفال و كبار السن أن عدد الاعتداءات ضد النساء المبلغ عنها قد زاد 5 أضعاف مقارنة بالفترة نفسها من سنة 2019، إذ تم الإبلاغ عن أكثر من 40 امرأة من ضحايا العنف ما بين 23 و29 من شهر مارس. وهي اعتداءات تطلبت دخول المستشفى عند حالتين.

تعطي هذه الأرقام بعض الأدلة على حجم المشكلة ودرجة استفحالها، لكنها تغطي فقط البلدان التي توجد فيها أنظمة لإعداد التقارير: فمع انتشار الفيروس في البلدان التي تعاني من ترهل مؤسساتها الاجتماعية ضعف بنية التتبع، فهي لا تتوفر على بيانات والمعلومات أقل، لهذا فمن المتوقع أن يكون مقدار الاعتداءات على النساء والفتيات أعلى.

فضحايا العنف المنزلي مع الحالة الوبائية في تزايد، كما هو الحال في المغرب، إذ لم يتمكن حتى الآن من توثيق تأثير الوباء على الزيادة في عدد الاعتداءات على النساء، و لم يقترح بدائل للرد عليها بشكل ملموس، زد على ذلك أن إطلاق سراح السجناء المتورطين في قضايا العنف والجرائم في حق النساء والعفو عنهم خلال هذه الفترة، هو عنف في حد ذاته ممارس من طرف الدولة على النساء وبشكل مضاعف وتسلط على المجتمع ككل.

يمكن أن نفسر ارتفاع أعداد ضحايا هذا العنف في شتى أنحاء العالم بتزايد الضغوطات المرتبطة بالحجر المنزلي والضغوطات الاقتصادية بسبب تسريح العمال و فقدان الدخل أو محدوديته، وكذلك إلى هيمنة النظام البطرياركي المترسخ في الأذهان عن طريق الأعراف و التقاليد و الدين... نظام يميل دائما إلى كفة الرجل وإلى استضعاف المرأة،هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرجع هذا الارتفاع بالأساس إلى ضعف ومحدودية القوانين التي تجرم العنف ضد النساء، بل وتشرعنه في بعض الأحيان في بعض الدول النامية.

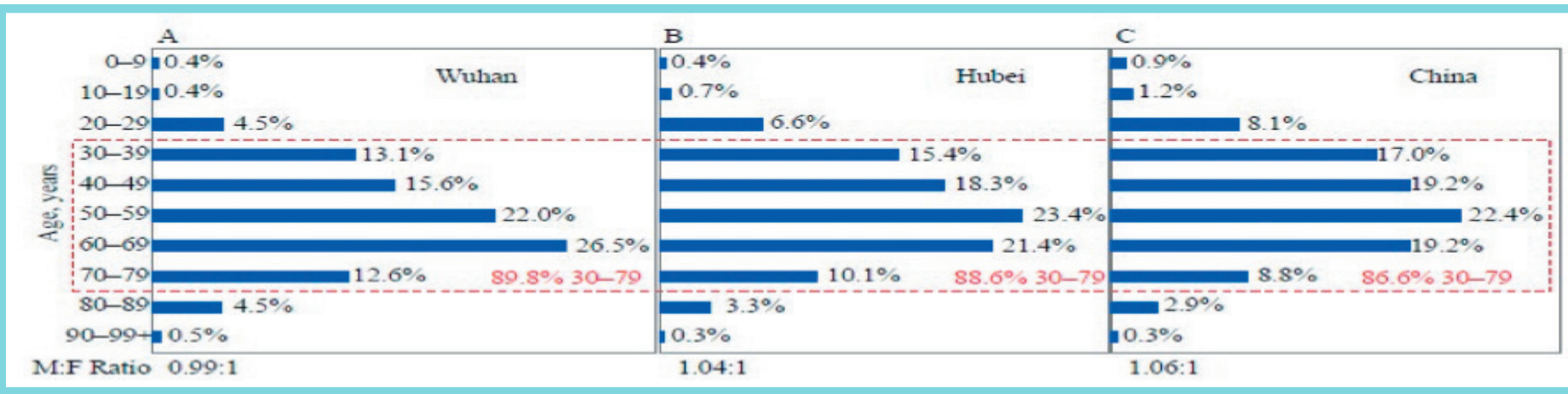

توزيع جميع الحالات المؤكدة بالإصابة بالفيروس في الصين حسب العمر والجنس إلى حدود 11 فبراير 2020، A مدينة ووهان، B إقليم هوبي، C الصين ككل: تقرير المركز الصيني لمكافحة الأمراض

فريقة الإنقاذ !!

• نعيمة السي أعراب

بدت فكرةً طوباوية حين دعوتُ، قبل ثلاث سنوات، أثرياء المغرب الذين يتصدرون لائحة "فوربيس"، إلى تشكيل فريق إنقاذ لإخراج البلاد من الأزمة المالية والاقتصادية الخانقة التي تتخبط فيها، بدل الإذعان لتوصيات صندوق النقد الدولي بتحرير الدرهم، وما تلاه من إملاءات بشأن رفع الدعم عن المواد الأساسية...

هل كان علينا انتظار هبوب جائحة كورونا، التي لا تميز بين غني وفقير، لتتحقق الفكرة؟ مع أنها كانت بالفعل طوباوية! إذ كيف يعقل، كما قال أحد الأصدقاء الظرفاء، أن يساهم في حل الأزمة من يستفيد منها؟! فيما علق آخرون: "لسنا بحاجة إلى صدقاتهم، يكفي أن يلتزموا بدفع ما في ذمتهم من ضرائب إلى صناديق الدولة، لتتمكن من تمويل خدماتها والتزاماتها إزاء المواطنين، ويكفوا عن تهريب ثروات المغاربة وأموالهم إلى الخارج!".

اليوم، كثيرون هبوا بأعطياتهم السخية - صحيح أن قيمتها ستخصم من الضرائب الواجبة عليهم-، ربما لأنهم تأكدوا أننا على سفينة واحدة، إما نغرق جميعاً، أو ننجو بأقل الخسائر!

سيكون مفيداً لو يستمر هذا الصندوق، الخاص بتدبير جائحة فيروس كورونا، بعدما نتجاوز الأزمة بسلام، في العمل من أجل إنقاذ البلاد من باقي الجوائح، مثلاً جائحة الفقر، والبطالة، والجهل، وتردي الصحة والتعليم... ناهيك عن سد الخصاص الحاصل في صناديق التقاعد والضمان الاجتماعي، حتى يُرفع الحيف الذي لحق بالموظف والأجير؛ علماً أن ميزانية الدولة غير قادرة على الاستجابة للمطالب الاجتماعية والتنموية المنشودة، في ظل العجز الذي تعرفه، والذي بلغ 9,5 مليار درهم في متم فبراير 2020م، فيما وصل الدين الداخلي 582 مليار درهم، وكان الدين الخارجي نهاية شتنبر 2019م، قد تجاوز 151 مليار درهم.

ولضمان تعبئة صندوق الدعم هذا بشكل سنوي، ماذا لو يُعشِّر فريق الإنقاذ عن ثرواته، ويضخ تلك الأموال في هذا الصندوق؟ خاصة أن الضريبة على الثروة لم يتم تفعيلها بعد... هل ستتأذى ثرواته؟

مرةً أخرى، للوطن حق على أثريائه... وهل يتأذى البحرُ إن أخذنا منه دلو ماء؟!

عاملات الجنس في زمن كورونا

• مينة بوشكيوة

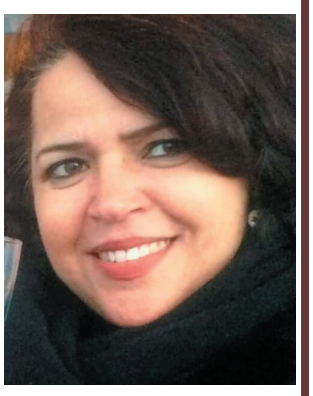

عندما يتفق الجميع على كون هذا الفيروس اللعين قد ساوى بين الفقير والغني، بين الدول المتقدمة والأخرى المتخلفة، وبين الملوك والرعايا، بين الأمراء والعامة وبين السادة والعبيد، فلابد لنا أن نتفق، بحكم منطق الأمور، بأنه ساوى، أيضا، بين عاملات الجنس من الدرجة العليا، فتيات الشقق المفروشة والفنادق المصنفة والملابس ذات الماركات العالمية، من تقبضن أجورهن بالعملة الصعبة وتحملن شواهد عليا وتتكلمن لغات عدة، وبين عاملات الجنس، اللواتي لم تلجن المدارس، لا سكن لديهن، ولا احتياطات ضد الحمل أو توفيرا للمستقبل، من ولدن من رحم الفقر، وقدر عليهن أن تبعن لحومهن وفروجهن بأرخص الأثمان، مقابل ما يسد الرمق ويحفظ الجسد من قرص البلد ولفح الحر.

فإذا كانت تجارة الجسد عند الأولى اختيار واع ومسؤول، قد لا يكون الدافع إليه هو الفقر دائما، فإنه في حالة الثانية اضطرار وإجبار.

قد يقول قائل :"تجوع الحرة ولا تأكل بثديها" فأجيبه، بأن الحرية أولا وأخيرا، تعليم وصحة وشغل وتكافؤ فرص، ليس شاقا على أي أحد، أن يفهم لم تصدر دول أوروبا الشرقية وروسيا والمغرب العربي ومصر وإفريقيا جنوب الصحراء، بناتهن للدعارة، اسأل عن مكانة المرأة وفرصها في التعليم والشغل والمركز السياسي، ثم أجبني، ولذا، فكل عاملات الجنس هنا والآن، أصبحن متساويات أمام محنة هذا الوباء، واختلال قاعدة الطلب والعرض وإغلاق سوق الجنس كما أغلقت الفنادق والمراقص والحانات والملاهي والمقاهي والمطاعم، وباءت التطبيقات بالفشل بحكم الالتزام بقاعدة "أبقى فدارك" وحتى الزبائن، أغلقوا أبوابهم على أنفسهم وسط عائلاتهم، حماية لهم من العدوى وخوفا على ذويهم وأقربائهم، تاركين عاملات الجنس وحيدات في مواجهة مصيرهن، خاصة في مجتمع منافق مثل مجتمعنا، يشتغل بقاعدة "يا لطيف يا لطيف....أوبشحال ؟؟؟" ويقدس نفاقه بل ويدافع عنه ولسان حاله يقول: " اللي تبلى يتستر".

أيها الذكور، أنتم مسؤولون أمام ضمائركم، عن كل النساء اللواتي منحنكم لذة عابرة يوما ما، سواء كنتم زبناء مدمنين أو موسمين، عزابا أو متزوجين، تذكروا جيدا، أنهن كن موجودات لأجلكم، لأجل شهواتكم ونزواتكم واستيهاماتكم، بل منهن من كان لهن فضل رش الملح في رتابة زواجكم، يصنعن الفرح من لاشيء ويمنحنكم حرارة مابين فخذيهن كما قلوبهن، عندما تبرد أوصالكم وتتجمد الدماء في عروقكم، وهن اللواتي يخفضن من ضغط شهوانيتكم كلما استبد بكم الجوع للحم الأنثوي المباح، بقليل من الأوراق النقدية والهدايا، رخيصة للفقيرات وغالية للمقتدرات.

أيها الذكور، ابحثوا عن طرق ذكية ودافئة إنسانية، لتساعدوهن في هذه الأيام العصيبة، تماما كما كنتم قادرين على التسلل إلى أحضانهن ودفء أفرشتهن، رغم حصار زوجاتكم أو جيوبكم، كونوا رجالا حقيقيين ولا تتخلوا عن النساء اللواتي يبعن لحومهن لشراء قليل من اللحم يضفنه للخضر والمرق فوق موائد أسرهن.

اسبينوزا.. الحرية في الدين والسياسة

◆ محسن الودواري

في كتاب "رسالة في اللاهوت والسياسة" للفيلسوف الهولندي باروخ اسبينوزا (1632 – 1677) يعتبر اسبينوزا أن العلاقة المتداخلة بين السلطات اللاهوتية والسلطات السياسية هي السبب في انعدام الحرية بصفة عامة، من خلال اعتبارها أن الحرية تشكل خطرا على الإيمان، ومن تمة خطر على الدولة أي على النظام السياسي، لهذا يحاول اسبينوزا إثبات العكس، باعتبار أن حرية الفكر لا تمثل خطرا على الإيمان، لأن أساسه المبدئي هو العقل، وذلك لإثبات أيضا أن حرية الفكر لا تمثل خطرا على سلامة الدولة، أي العقل هو أساس كل نظام سياسي تتبعه الدولة، ومنه بناء الدولة الديمقراطية التي تنسجم مع العقل.

إن المنطلق الأساسي لاسبينوزا هو إعطاء مكانة هامة للعقل، في تأطير الإيمان أولا، أو ما يمكن أن نسميه بعقلنة الإيمان، وإفراغه من كل النزوعات الخرافية الساذجة، ثانيا جعل العقل أساس كل التشريع السياسي، وبالتالي تبوأه مكانة مهمة في كل التشريعات المتعلقة بالنظام السياسي، وإفساح المجال لحرية الفكر في السياسة والاجتماع، لأن سلامة الدولة مرتبطة أساسا بحرية الفكر، وليس العكس، فغياب العقل في فهم الظواهر، وتغطيتها بالطابع السحري، أو ما يمكن أن نسميه بروحنة الطبيعة يجعل تفكير الأفراد تفكيرا انفعاليا تسود فيه الأهواء على العقل، وبالتالي يدنو مستوى الفرد المعرفي إلى معرفة قائمة على الانفعالات والعواطف، وعلى رأس هذه الانفعالات الخوف والرجاء، بحيث يتذبذب الشعور الديني بينهما و بين الرهبة والرغبة، ويصير الإنسان أسير التفسيرات القائمة على الثنائية الميتافيزيقية، ثنائية الخير والشر، لعجزه عن فهم الطبيعة والتأثير فيها عقليا، ومنه يعمل على استدعاء الأرواح، أو طلب العون المباشر، أو الصلاة لدرء الكوارث كالجفاف، والزلازل والفيضانات والأوبئة. فهذه الأفعال تعبر على أن الإنسان صار عقله غير مستوعبا لقوانين الطبيعة لكي يسيطر عليها ويتوقع مآلاتها من خلال العقل، والخوف أيضا غير مرتبط فقط بالخرافة أو العجز، بل ينشأ عن نقص في الشجاعة، ويكون التأليه نتيجة هذا النقص، بحيث يلجأ المتدين إلى قوة مفارقة خارجة عن الطبيعة لكي تمده بالقوة والشجاعة والعزيمة، لأنه يفتقدها، نظرا لكونه لا يفهم أسباب الظواهر الطبيعية المطبوعة بالنسبة إليه بأرواح خفية، وبالتالي تضعف إرادته أمامها لكي يواجهها.

وبالتالي فالخرافة والعجز والوهم، هي من أسباب الوقوع في التقديس، أي تقديس موجود متعال خارج الطبيعة، يتدخل فيها كما يشاء، أي كما يفعل الحاكم المطلق أو الملك الذي يخضع للأهواء والانفعالات، وهنا نلاحظ كيف ربط اسبينوزا غياب العقل في فهم الطبيعة، وأبعادها الاجتماعية والسياسية والدينية، بحيث أن غياب العقل تجعل الإنسان يقع في الخرافة، ومنه في الاستبداد السياسي، وسوء العدالة الاجتماعية، وغياب الحرية الفكرية، ولذلك فاعتبار المقدس خارج العالم عجز عن إدراكه داخل العالم، خاصة إذا أصبح المقدس أمرا مرادفا للسر، أو هو الوقوع في الوثنية المجردة أو الوثنية الحسية.

وإذا كان الدين كموقف غير طبيعي، أي كموقف غير مبني على فهم أسباب الأشياء، فإن التدين المرتبط به قائم على مجموعة من الخزعبلات التي يظنها المتدينون تعاليم إلهية كما هو الأمر بالنسبة للمتصوفة، وهو على خلاف تدين النور الفطري، الذي يعتبره المتدين مصدرا للإلحاد وللبدع، فإلحاد الفلاسفة الذين يعتمدون على النور الفطري هو الإيمان الصحيح، وإيمان المتدينين القائم على الأوهام والخرافات الوثنية الحسية هو الإلحاد الصحيح.

المنطلق الثاني متعلق بالعلاقة بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، إذ يشير مفهوم السلطة هنا إلى القوة التي تمارسها الطبقة الإكليروسية من خلال الوهم الذي تخلقه لدى للجمهور، وما يتبعه من علاقات اجتماعية وسياسية، بحيث تعمل على منع استعمال العقل (حرية الرأي) في المجتمع والدين والسياسة، وبالتالي تكرس للاستبداد السياسي والنزوع نحو النظام السلطوي، في تواطؤها مع الطبقة السياسية. ولهذا يعتبر اسبينوزا حرية الرأي ضرورية للإيمان الصحيح، وضرورية أيضا للسلام الداخلي في الدولة، لأن حرية الرأي هي ركيزة الرأي العمومي، وفي هذا الصدد إذا قضي على حرية الفكر قضي أيضا على الرأي العمومي الذي يعمل على المراقبة والمحاسبة والتوبيخ، لأنه هو الراصد لكل ما يحدث في الدولة خاصة في الأمور الداخلية، وبالتالي تصير الدولة بلا ركيزة داخلية، أي بلا رأي عام، يفعل الحاكم ما يشاء، ومنه ستنشأ الجماعات السرية المناهضة للحكم، فيقضى على أمن الدولة، ولهذا يجب على السلطات السياسية ألا تتدخل في الحريات الفردية لأن هذه الحريات هي حق طبيعي للفرد، وكل فرد حر بطبيعته، وهو ضامن لحريته، لأنه مسؤول عن نفسه. وتنشأ الفتن عندما تتدخل الدولة بقوانينها في الأمور النظرية أي الأمور المرتبطة بحرية الفكر والاعتقاد، ولذلك يجب عليها أن تنأى عن هذه الأمور، وتضع قانونا يستطيع من خلاله كل مواطن أن يعبد الإله الذي يشاء كما يشاء، وأن يتصوره كما يريد، ويعبر عن معتقده كما يريد، ومنه لا يحق للدولة أن تتدخل في حرية الفكر أو في الرقابة عليه، بل يجب أن تكون حرية الفكر والاعتقاد مكفولة للمواطنين جميعا، وتكون الدولة هي الراعية لهذه الحرية، بمعنى آخر أن تحوز الدولة مشروعية حرية الفكر والاعتقاد، ولا تكون في يد أي جماعة مهما كانت، كما لا ينبغي لها أن تكون دولة طائفية تنتسب لدين معين، بل دولة علمانية تكفل حرية الرأي للجميع، لأنها ضرورية للمجتمع والدولة ويعتبر اسبينوزا أن القضاء على حرية الفكر هو قضاء على الدولة، خصوصا وأن القانون الإلهي يمنح الحرية للجميع، (مثلا من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، لقد تبين الرشد من اللغو).

فرانز كافكا على لوحة والِدَيّ

• محمد نايت دراع

الخروج من البيت مغامرة، لقد تحول العالم كله إلى حي خطير، يعج بالموت والموتى، بالمصابين والمرشحين للإصابة، ومهربي الجثث البشرية والقراصنة، وبات الهلع يزحف من النوافذ وأزرار الإنارة، بالبيوت، وعلب الحليب والسجائر، والسردين، وقطع النقود، ومفاتيح المنازل.

لأزيد من شهر وأنا أكتفي بمكالمات هاتفية قصيرة مع أمي وأبي للاطمئنان على حالهما، دون أن أستطيع زيارتهما بسبب الحجر الصحي الذي تسبب فيه خفاش متهور، ذلك الأسود الهرم، الشبح الداكن العينين، المجرد من حبات الجمال والزينة.

فرانز صديقي، أنا لا أستطيع زيارة والِدَيّ كما تعلم، وكما تعودت فعل ذلك كل أيام السبت والأحد من كل أسبوع! لكن لن أخفيك لقد اشتقت إليهما يا فرانز.

يا الله لربما أصبت بالهذيان، وإلا ما دخل فرانز بكل هذا الذي يحصل لي، وبأي حق أحشر أنف الرجل في وجه كورونا اللعين؟ هو قال كلامه وانصرف، فمن شاء آمن به ومن شاء كفر "الخروج من المنزل مغامرة"، وهذا يكفي.

قبل يومين وأنا أتحدث كالعادة مع أمي عبر الهاتف سألتني قبل أن ينقطع الخط:

ماذا لو امتد هذا الحجر لشهور طويلة يا بني...؟ أيعني هذا أنك لن تستطيع زيارتي خلال هذه المدة كلها... ثم أطردت: سأشتاق إليك...؟

سؤال أمي درس في العلاقات الإنسانية، درس قاس ومحرج وصعب، أشبه بأسئلة الجامعة في مادة العلاقات الدولية زمن كانت الجامعة جامعة فعلا، والعلاقات الدولية علاقات دولية حقا، وحيث الصراع والحروب في عز الأزمات بين الدول والأحلاف كانت واضحة، تشن ببوارج حربية وطائرات مقاتلة وغواصات، وسفن حربية تجوب السواحل، أما اليوم لا أحد يعرف من يحارب من؟ ومن أي ثقوب تتسرب هذه الجراثيم القاتلة، ومن يقف وراء هذه الحرب البيولوجية المقيتة، وماذا ينتظر الإنسان فوق هذه الكرة، الدفن! حتى الدفن يا فرانز أضحى عملا شاقا ومختلفا.

قلت في نفسي، ما العمل إذن؟ إزاء هاته الوضعية المشكلة، وهذا الاختبار الذي طمرته أمي في صدري كإسفين، سؤالها بدا لي منذ الوهلة الأولى سؤالا لن تنفع معه تحذيرات كافكا من الخروج، ولا السخرية المريرة من كوفيد 19 المدمر.

المرء هذه الأيام يتمنى لو يتحول إلى حشرة عشب مضيئة أو حتى إلى فأر صغير، وأين العيب في ذلك؟ المهم أن يتحرك المرء دون قيود، وبحرية خارج المنزل ولو على قوائم، دون ريبة ولا خوف من أعين وسجن الشرطة، أو من ضربة غادرة من كوفيد، المهم هو أن تدرك غاياتك البسيطة.

عبرت ذهني كل هذه الخيالات وأنا أفكر بجد كيف أخرق هذا الحجر الصحي لفائدة أمي وأبي ولقلبيهما الهشين.

هكذا دبرت الأمر ليلا وفي السر، رغم كل الإجراءات الأمنية المشددة خلال الأيام الأخيرة والجولات الليلية لدوريات الشرطة وضرباتها الخاطفة في الأحياء..

وأنا أهم بالخروج تعثرت في الظلمة بحذائي الجديد، أما الأول فقد تمت سرقته قبل أيام بعدما تعودت تركه خلف الباب، خشية أن يختبئ الفيروس اللعين أسفل الحذاء، سحبت المعطف من خزانة الملابس بحذر مشوب بالتوجس، فحتى الملابس صارت مصدر شك ورعب، تخيلته معطف ذلك العجوز السبعيني المتقاعد من صفوف الجيش الايطالي، المسكين توقفت حياته لأنهم أوقفوا إمداده بالأوكسجين لأجل إنقاذ حياة شخص أخر مصاب، لكنه أقل منه سنا، الأوغاد باعوا معطفه بعد ذلك، هلا فهمتم الآن لماذا أنا متوجس من المعاطف والأحذية ومن المختبرات ومن الغربان والخفافيش ومن الرأسمالية المتوحشة.

في لحظات كنت قد طويت المسافة إلى منزل والِدَيّ رغم بعدها، لم يكن بحوزتي ترخيص لهذه الغرض، هل كان علي أن أقول للمسؤولين مثلا قبل الخروج: أحتاج ترخيصا لزيارة أمي وأبي!! كلا لم أفعل، وأريدكم أن تصدقوني لم أفعل، فمتى كان المرء يحتاج إلى ترخيص من أجل زيارة أمه أو أبيه؟ لهذه تسللت في تلك الساعة المتأخرة من الليل لزيارتهما في منزلهما بضاحية المدينة، أمشي بعينين مغمضتين، فأنا أعرف الطريق مثلما اعرف أصابع يدي، "يقضا مثل حمار الوحش وككلب الصيد ملفوفا خفيف"، لم أكن ذاهبا لتفجير ماسورة بترول، ولكنني أريد زيارة أمي وأبي وفقط ، قطعت الأزقة والدروب المظلمة، أخشى أن يباغتني الضوء من مكان ما، استطعت أن اقطع المسافة في اقل من ساعة، سررت جدا فأبي وأمي صارا أمامي، وربما كانا في انتظاري، واقفين وقد أسندا ظهريهما إلى الحائط، صامتين بعيون مبتسمة، اعرف أن الصورة قاسية جدا لكن لا مفر، تحية من مسافة قريبة وحديث قصير ثم أعود أدراجي، الاثنين ضلا جامدين في مكانهما ودون أن ينبسا ببنت شفة، ودون أن أشعر فتحت ذراعي أحضنهما، وأقبل يديهما ، ذهلت لا أحد منهما أحس بوجودي بينهما، لحظتها تناهى إلي صوتهما من بعيد، معذرة، فنحن لا نستطيع أن نخرج أيدينا من هذه اللوحة لمصافحتك ولمعانقتك، نظرت إليهما بأسى، وبيدين مرتعشتين، أعدت تثبيت اللوحة على الجدار في غرفة نومي، لوحة كانت هدية من صديق قديم، بحذر خلعت معطف العجوز الايطالي وبحذر شديد أطفأت الأنوار وتسللت إلى فراشي دون أن أعقم أصابعي التي كانت على زر الإضاءة.

مدير النشر	عبد الواحد المهتاني	التوزيع	سابريس
رئيس التحرير	يزيد البركة	العنوان	رقم 1 زنقة أحمد الكرناوي الطابق الأول ساحة ماريشال، الدار البيضاء.
سكرتير التحرير	عبد الغني عارف	مكتب الطريق بالرباط	شارع المقاومة رقم 58 حي المحيط الرباط.
المدير الفني	إسماعيل المتقي	البريد الالكتروني	attarik.journal@gmail.com
المدير الإداري والمالي	لحسن خطار	الهاتف	07 08 80 90 87
الإيداع القانوني	16/2018 ص ح.	رقم الحساب البنكي	BMCE: 011794000045210000323097
المطبعة	ايكوبرينت	النسخة الالكترونية	www.attarik.net
عدد السحب	5000 نسخة	دورية الجريدة	أسبوعية / شهرية (مؤقتا)
رقم الايداع	2019PE0068	الرقم الدولي المعياري للدوريات	ISSN 2658 -8161

تحف فنية....

فن جداريات الشوارع، أو لوحات الشارع
L'art urbain / Street art

هو من سلسلة أنساب الفن الحضري، والذي عرف انطلاقته في ستينيات القرن الماضي، حيث خرج الفن من المعارض المغلقة إلى بيئة حضرية حقيقية على حد تعبير ألان كابرو. وقد بدأ ازدهار هذا الفن المنفلت إبان انتفاضة ماي 1968، كنوع من التمرد الفني برفض الواقع، بتعبيرات إبداعية وثورية على الجدران الخارجية، باستعمال الدهانات والأصباغ والفسيفساء، والغرافيتي.

هاته اللوحة أخذت من سانتياغو عاصمة شيلي، باعتبارها واحدة من أفضل المدن في العالم التي تشهد فن الشوارع، وهي موطن للعديد من فناني الشوارع المشهورين عالميًا، مثل إنتي كاسترو أو مامبو. حيث أنه من الصعب حقاً أن تجد شارعاً أو ركناً في سانتياغو دون لوحات لجداريات جسدت آمال الشيليين في الحرية والديمقراطية.

هاته اللوحة تجسيد لشابة ملثمة تخفي هويتها عن الأعين التي تترصدها، وهي محاكاة للكمامات التي نحمل الآن مخافة وباء كورونا.

الوثيقة 95

في الـ 31 من شهر أكتوبر 1517 م، قام شخص في الصباح الباكر، وعلق على باب الكنيسة وثيقة من 95 حجة، مفادها أن البابا وقساوسته قد طغوا في الأرض باسم الدين، وأن لا حق لرهبان الكنيسة في بيع صكوك الغفران، حيث كانوا يوهمون أتباعهم بالصفح عن خطاياهم التي ارتكبوها، وقدرة القساوسة على إعفاءهم من العقاب الإلهي بشكلٍ تام، بعد طقوس الاعتراف للكاهن بكلِّ الذنوب والآثام، وتوبتهم أمامه، حيث يتم منحهم وثيقةً خطيَّةً تؤكد الغفران لهم من طرف الكنيسة، مقابل أن يدفعوا مبلغاً من المال.

لم يكن ذاك الشخص سوى مارتن لوثر، أستاذ الفنون وعلم اللاهوت بجامعة فيتنبرغ الألمانية، صاحب الوثيقة 95، والتي كانت الشرارة الأولى للتمرد على طغيان الكنيسة الكاثوليكية، وقد توسع أنصار الوثيقة الجديدة بفضحهم استغلال الكنيسة لسذاجة البسطاء، وفضحهم لتحكم ووساطة الإكليروس في العلاقة بين عامة الناس والله، حيث وصلت الوقاحة بالرهبان، أن أصدروا صكوكا لغفران ذنوب الموتى لزيادة الجبايات من الناس عن أهلهم المتوفين، وتسويق مناديب الكنيسة فكرة بيع قطع أرضية من الجنة مقابل صكوك الغفران.

فتوسعت دائرة تصدي المصلحين الجدد لدجل رهبان الكنيسة، وفضح المتاجرة بالدين مقابل مصالح مادية من جيوب البسطاء السذج، أمام ازدياد أعداد أنصار مارتن لوثر البروتستانتيين [أي: المحتجِّين، بالألمانية واللغات اللاتينية].

يحكي التاريخ، أنه في ليلة من غشت سنة 1572م، ارتُكِبَتْ أكبر مذابح التاريخ، فيما يعرف بمجزرة سَانْ-بَرْتُولِيمِي، حيث قام الجنود الفرنسيون بإيعاز من الكنيسة الكاثوليكية لسان جيرمانوس بمذبحة راح ضحيتها 70 ألف شخصا كانوا ضد صكوك الغفران وسطوة رجال الدين الكنسيين، أغلبهم من النساء والأطفال. والمثير للاشمئزاز أن البابا بيوس الخامس أقام قُدَّاساً لغفران الذنوب كاملة لكل من ارتكبوا مذبحة سَانْ-بَرْتُولِيمِي.

أكيد أن الإسلام أنهى دور القساوسة في علاقة الناس بالله، فلا سماسرة ولا وسطاء هناك، فلماذا يطفو إلى السطح في زمن النوائب والكوارث رهبان متأسلمون، يعيدون بشاعة صكوك الغفران، فأصبحوا يتنصبون ناطقين باسم الدين والقدرة على خلاص الناس وإدخالهم الجنة: الزَّقاةُ والدَّجالون وفقهاءُ السوء، ومدعُو النبوءة، وأفَّاقُو العلاجات الخرافية..

إن تَغَوُّلَ تَشَدُّدِ الوهابية في العالم الإسلامي، وممثليها المتطرفين والغُلاَةِ في بلداننا، يفرضُ على المتنورين والعقلاء إحداثَ ثورةٍ إصلاحيةٍ ضد الدَّجَلِ والمتاجرةِ بالدين، وإعلاءَ قِيَمِ التسامحِ الإنساني والعيش المشترك، فالعقلُ آية الله العظمى.

نحتاج في عالمنا الإسلامي أيضا لتعليق وثيقة 95 خاصة بنا، لنفتحَ بابَ التقدمِ والعلم على مصراعيه أمام شعوبنا.

قسيمة الإشتراك

الطريق

السيد رئيس تحرير جريدة الطريق المحترم
تحية طيبة وبعد، أرجوقبول اشتراكي السنوي في جريدة الطريق، وارسالها على العنوان الموضح جانبه.

الاسم الكامل :.....
العنوان :.....
.....
.....
.....
البريد الالكتروني :.....
الهاتف :.....

نوع الاشتراك	بالمغرب	خارج المغرب	الاشتراك التشجيعي
	☐ أفراد 200 درهم	☐ أفراد 400 درهم	مفتوح
	☐ مؤسسات 500 درهم	☐ مؤسسات 600 درهم	

رقم الحساب البنكي : BMCE: 011794000045210000323097
البنك المغربي للتجارة الخارجية - وكالة البستان - الدار البيضاء

ترسل صورة قسيمة الاشتراك وصورة وصل التحويل البنكي على البريد الالكتروني التالي:
attarik.journal@gmail.com